باسمه تعالى

تاريخ من جبل عامل

إعداد: يوسف حيدر

في 1- 09- 2012م

مقدمة

جبل عامل اسم لبقعة ساحرة، تشكل القسم الأكبر من جنوب لبنان، تغزّل به الكثيرون، وفتنوا بجماله الخلاب، كان منذ القدم مسرحاً لحروب كثيرة، سبّبَها محتلون مستعمِرون، حاولوا أن يجهضوا فتوة رجاله الأشداء، وصدور النشامى فيه، فما لان، ولا استسلم، وما فترت عزيمة أبطاله، الذين أذاقوا المغتصبين ألوان الذل والهزيمة، ابتداءً من العهد التركي وما جره عليه من ويلات، ثم الاحتلال الفرنسي، وكان آخرها قيام الدولة الصهيونية الغاشمة على أرض فلسطين، التي لُقنت درساً هزّها من الأعماق، وأبعدها إلى ما وراء الحدود، حيث تقبع الآن في فلسطين المغتصَبة، فلسطين التي تنتظر يوم التحرير والاستقلال بفارغ الصبر.

إنّ قيام الدولة العبرية في فلسطين كان له تداعيات كثيرة على لبنان عامة وعلى جبل عامل خاصة. فمنذ العام 1948م، بدأت الوحشية والاطماع الاسرائيلية تفعل فعلها على أرض الجنوب، فمرّت أيام عصيبة على جبل عامل وأهله، من قتل، وتدمير، وقصف، واجتياحات، واسر، حتى وصلنا إلى العام 1982م، فدخل جيش العدو الاراضي اللبنانية، وسقطت العاصمة بيروت، فكانت ولادة المقاومة اللبنانية.

مما زاد جبل عامل إشرق، وكُتب التاريخ حافلة بذكر الوقائع الخالدة التي روى فيها العامليون ثرى الجبل الأشم، بدم العنفوان والإباء، وكي تنبت أشجار الحرية والإستقلال، وها هو جبل عامل، ولأول مرة في تاريخه، ينعم بالتحرير والاستقلال الحقيقي، التي تآزرت للحصول عليه زنود أبطال المقاومة الإسلامية الأشاوس المرابطين كالصقور على الثغور، وصمود وإباء الشعب العظيم، الذي كان حقاً أشرف وأعز وأطهر الناس.

أضواء على تطور جبل عامل

أولا: جبل عامل في التاريخ

عندما نتحدث عن جبل عامل، إنما نعني من الناحية الجغرافية، المنطقة التي راوحت حدودها التاريخية، بين نهر الأولي، جزين ومشغرة شمالاً، ومرجعيون، بانياس، الحولة شرقاً، والزيب ووادي القرن وسعسع ووادي فاره جنوباً، بعد أن اقتطع الانتدابان الفرنسي والإنكليزي منها، عدداً من القرى نذكر منها، على سبيل المثال، لا الحصر، قرى الخالصة، هونين، قدس، النبي يوشع، المالكية، صلحة، تربيخا، المنارة، المطلة، وغيرها[1].

يحده من الجنوب فلسطين المحتلة، ومن جهة الغرب شاطئ البحر الابيض المتوسط.

وأما من الناحية التاريخية، فهي موضوع حديثنا الذي ينحصر في حقبة معيّنة من تاريخ الحملات الصليبية الى بداية العهد العثماني وحتى عصرنا الحاضر.

أ – تعريف جبل عامل

ضُمّ جبل عامل إلى لبنان بعد إنشاء دولة لبنان الكبير في العام 1920م، بقرار من الاحتلال الفرنسي، وأصبح جزءاً من هذه الدولة[2]، وشكل ما يعرف بمحافظة لبنان الجنوبي.

عرفت هذه المنطقة "ببلاد بشارة"[3] نسبة إلى أحد الزعماء والذي تعددت الآراء حول نسبه[4].

1– منذر جابر، محاضرة بعنوان "**الكيان السياسي لجبل عامل قبل 1920م**"، بيروت 1979.

2– محمد مراد، محاضرة بعنوان "**بلديات جنوب لبنان**"، حولا، 5\8\2001م.

3– محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، دار النهار للنشر، الطبعة الثالثة، 1998م، ص 27.

4– يوجد تفصيل في الصفحة رقم 21.

- **تقسيمات جبل عامل**

قُسّم جبل عامل في آواخر العهد العثماني إلى ثمانية نواحٍ، أو مقاطعات، يحكمها حاكم واحد، وتقع أربع نواحٍ منها في القسم الجنوبي، وهي:

- جبل هونين أو ناحية هونين ومركزها بنت جبيل.
- جبل تبنين أو ناحية تبنين ومركزها تبنين.
- ساحل قانا ومركزه قانا.
- ساحل معركه ومركزه صور[1].

وأربع في القسم الشمالي، وهي:

- ناحية الشقيف ومركزها النبطية.
- ناحية الشومر ومركزها قاعدة أنصار.
- ناحية التفاح ومركزها جبع[2].
- مقاطعة جزين ومركزها جزين[3].

وينقسم جبل عامل الى منطقتين[4]:

1- محمد تقي الفقيه، **جبل عامل في التاريخ**، ط 2، بيروت: دار الأضواء، 1986، ص 18.

2- تعرف الان ببلدة جباع.

3- محسن الامين، **خطط جبل عامل**؛ تحقيق حسن الأمين، ط 1، بيروت: الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 1983م، ص 131، 135.

4- ملاحظة: هناك فرق بين الناحية والمنطقة. فالاولى تسمية عثمانية تشير الى التقسيمات الادارية المعتمدة من قبل الدولة، أما الثانية فهي تقسيمات سياسية مرتبطة بالجغرافية لمنطقة جبل عامل.

– بلاد بشارة: وهي المنطقة الواقعة جنوب نهر الليطاني، أي التي يحدها نهر الليطاني شمالا، وفلسطين جنوباً، كما يتبع اليها كل من هونين وسهل الحولا حتى طبريا، وما يسمى بالقرى السبع، وعليه تكون بلاد بشارة جزءا من جبل عامل، وليس كل جبل عامل[1].

– بلاد الشقيف: وهي المنطقة الواقعة بين نهري الليطاني والزهراني، أي التي يحدها نهر الزهراني شمالا ونهر الليطاني جنوبا، وعرفت بمنطقة شمال النهر، فقد راج هذا الاسم ليعبر عن المناطق التي كانت تقع تحت سلطة حاكم قلعة شقيف أرنون في عهد المماليك[2].

ب – سبب التسمية والمساحة

سمي بجبل عامل، نسبة إلى اهله الذين يعود نسبهم إلى قبيلة عاملة اليمنية، ويعتبرون أقدم من سكن لبنان، وقد قدموا عند تهدم سد مأرب في اليمن، وهم عرب أقحاح[3]، ويعود نسب البعض منهم إلى قبيلة قريش العربية التي ينتسب إليها الرسول الاكرم محمد بن عبد الله(ص)[4].

وقدّر بعض المؤرخين مساحة جبل عامل، بثلاثة آلاف كيلومتر مربع، ويرتفع هذا الرقم إلى ثلاثة آلاف ومئتي كيلومتر مربع، على اعتبار ان طول الجبل يبلغ ثمانين كيلومترا وعرضه أربعون[5].

ج– قلاع جبل عامل

وهي كثيرة نذكر أسماءها مع بعض ما تيسر لنا من تفاصيل[6].

1– محمد جابر آل صفا، مرجع سابق، ص 28.

2– مجلة نور الإسلام، السنة السادسة، العدد 71، كانون الثاني 2001م، ص 51.

3– أي من العرب الاصليين، الذين لم يختلط جنسهم مع أحد، ويعود نسبهم إلى عرب بن قحطان.

4– حسن الامين، **دائرة المعارف الاسلامية الشيعية**، ط 5، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ج 6، ص133.

5– محمد جابر آل صفا، مرجع سابق، ص 24.

6– محسن الامين، **خطط جبل عامل**، مرجع سابق، ص 161.

–قلعة صيدا: بناها الصليبيون على جزيرة في مدينة صيدااللبنانية عام 1228م، تبعد حوالي 80 مترا عن الشاطئ، ويربطها به جسر صخري مبني على تسع قناطر. ويعتقد أنه شيد مكان معبد فينيقي مخصص لعبادة الإله "ملكرت" بسبب النقوش على الحجارة التي استعملت في بناء القلعة.

ويزيّن مدخل القلعة أحجار سوداء منحوتة، ويقع داخلها مسجد جدده الأمير فخر الدين[1].

– قلعة الشقيف: فوق قرية أرنون، وهى من القلاع المهمة في جبل عامل، وقد ارتبط ذكرها بكثير من الاحداث خلال الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي.

– قلعة تبنين: يعتبر الأراميون أول من وضع حجر الأساس لقلعة تبنين عام (1850 ق م) في عهد الملك حزائيل بن بنحدد أحد ملوكهم. تعرّضت القلعة للدمار، وأعيد تشييّدها سنة 1105م على يد هوغ دي سان أوميرhugues de saint-omerالحاكم الصليبي لمدينة طبريا في فلسطين حينها[2].

وهناك من يقول بأن قلعة تبنين بناها حاكم طبريا ورمّمها ظاهر العمر في القرن الثامن عشر[3].

تُعتبر القلعة أوسع القلاع اللبنانية بأبراجها العشرة ومساحتها التي تناهز 25500 متراً مربعاً، يقابلها من الناحية الجنوبية الغربية "ربض"[4] يبعد عنها قرابة الثلاثمئة مترا، مساحته لا تزيد عن الستمائة مترا، له أربعة أبراج يعرف "بالحصن"، بني للمراقبة على تلةّ صغيرة، يوازي علوّها علوّه القلعة، ويقال أنّ بينه وبين القلعة نفقاً، لكن الأمر غير مؤكد، وخندق يحيط بها[5]...

1– جريدة الاخبار اللبنانية، السنة الثانية، العدد 405، كانون الثاني 2007م.
2– حسين نعيم، مرجع سابق، ص 17.
3– محاضرات الندوة، مرجع سابق، ص 83.
4– عبارة عن سكن كبير، يقع في الناحية الجنوبية الغربية من البلدة، يتألف من اربعة ابراج بقيت قائمة حتى عام 1965م.
5– محسن الامين، مرجع سابق، ص 251.

– قلعة دوبية: على أطراف بلدة شقراء بالقرب من ميس الجبل، وهي قلعة بناؤها صليبي قائم على أنقاض بناء روماني، يبلغ طولها 125متراً وعرضها 80 متراً، فيها ثلاث طبقات جددها آل الصغير في عهد الشيخ ناصيف النصار[1].

– قلعة شمع، تقع قلعة شمع على تلة مترامية الأطراف، تشرف شرقاً على كل القرى والبلدات في قضائي صور وبنت جبيل، وتطل جنوباً على الساحل الفلسطيني، وشمالاً على الساحل اللبناني، الممتد من صيدا شمالاً، حتى صور جنوباً، ومن الغرب على سهول الناقورة، واسكندرونه، وحامول[2].

ويعزو المتابعون لتاريخ هذه القلعة قيمتها الى موقعها هذا، الذي اتخذته في الحقبة الصليبية إذ بناها الصليبيون منذ ألف عام، لتكون لهم عيناً على صور ومنطقتها الجغرافية، فيما يعدها أبناء المنطقة والجوار من الأمكنة المقدسة التي يقصدونها، إما للتبرك أو لإيفاء النذور. وهي لذلك تحمل إضافة الى اسم القلعة، إسماً آخر، هو مقام النبي شمعون الصفا[3].

– قلعة مارون في ساحل صور، يعتقد بأن نشأتها تعود للعهد الصليبي، جدد بناءها في القرن السابع عشر الشيخ عباس العلي[4].

– قلعة القط، وهي عبارة عن مجمع صخور وحجارة على جبل صغير في أرض قرية مجدل سلم[5].

– قلعة هونين مشرفة على الحولة، لها ذكر في الحروب الصليبية، ولها خندق عميق محفور في الصخر، كانت مسكناً ودوراً للأمراء العامليين[1].

---

1 – آل الصغير هي الآسرة التي حكمت بلاد بشارة، فلقب الصغير اكتسبه علي الوائلي، بعد أن نجا من مجزرة مروعة تعرض لها كل أفرادعائلته، بتدبير من عائلة الشكريين، الذين انتزعوابالقوة حكم جبل عامل، وكان علي صغيراً، فهرب إلى أخواله في الشام، ولما بلغ أشده، عادإلى جبل عامل، واستعاد سلطة أجداده. نقلاً عن محمد جابر آل صفا، ص 38.

2– محمد تقي الفقيه، مرجع سابق، ص 26.

3– صحيفة المستقبل اللبنانية، السنة السادسة، العدد 2035، السبت 10\9\2005م.

4 – محسن الامين، مرجع سابق، ص 161.

5 –محمد تقي الفقيه، مرجع سابق، ص 26.

ثانياً:الحياة الدينية في جبل عامل

يعتبر اهل جبل عامل من المنتمين الاوائل للاسلام ولمذهب أهل البيت، وقد مّر بجبل عامل ناصر خسرو(1004م-1088م)، الرحالة الفارسي المعروف، سنة 437هـ 1020م، فقال عن صور ان أكثر أهلها شيعة إمامية، ومن بلدانه تبنين، وهونين، وقدس، والشقيف، وأكبر مدنه صيدا ثم صور، وأكبر قراه النبطية وبنت جبيل والخيام[2].

أ –كيفية إنتقال التشيُّع إلى جبل عامل

هناك روايتين تتحدثا عن انتقال التشيع الى جبل عامل، الاولى: بعد قدوم قبيلة "عاملة" اليمنية إلى لبنان، وكان أهلها من الموالين لأهل البيت(ع)، وقد انتقلوا إليه في العام 661م، بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب(ع)، في عهد الإمام الحسن بن علي(ع)[3].

وهناك رواية أخرى أكثر شهرة عند العامليين، تذكر أنه في العهد الأموي، وأثناء حكم الخليفة معاوية بن أبي سفيان، انتشر التشيع بين أهل جبل عامل، بعد نفيه للصحابي الجليل ابا ذر الغفاري (رض)[4]، ولا يزال حتى الآن مسجدان يعرفان باسمه، الأول في بلدة ميس الجبل، والثاني في بلدة الصرفند.

ب – علماء جبل عامل

توالى على الطائفة الشيعية، العدد الكبير من العلماء، وكان لتهجيرهم على أيدي العثمانيين بالغ الاثر في نشر مذهب آهل البيت(ع) في الهند، وايران، وباكستان، وغيرها، من الدول، نذكر جملة من الشخصيات العاملية التي برزت أكثر من غيرها[5]، والتي عاشت في مرحلة تاريخية محددة.

1- المرجع نفسه، ص 26.
2- محسن الامين، مرجع سابق، ص 240.
3- مجلة نور الإسلام، السنة السادسة، العدد 71، كانون الثاني 2001م، ص 52.
4- حسن الامين، مرجع سابق، ص133.
5- محمد جابر آل صفا، مرجع سابق، ص274، 275، 276.

نحن أمام سلف من علمائنا، كانوا أبرز مصداق لقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : "العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة".

***الشهيد الاول الشيخ محمد بن مكي العاملي (734هـ-786هـ)**

ولد الشهيد الأول في القرن السابع الهجري في سنة 734هـ، في جبل عامل، واستشهد قتلاً بالسيف، بدمشق يوم الخميس في التاسع من جمادي الأول سنة 786هـ، وعمره اثنين وخمسين سنة، وشهد عليه جماعة بانحراف العقيدة واعتقاد النصيرية(العلوية)، وغير ذلك من الاكاذيب والاضاليل، فضرب عنقه، ثم صلب ثم رجم، في دولة بيدمر وسلطنة برقوق بفتوى القاضي برهان الدين المالكي، بعد ما حبس سنة كاملة في قلعة دمشق[1].

*** المحقق الثاني الشيخ علي الكركي العاملي (1464م-1534م)**

صاحب "جامع المقاصد"، هو أول من نبّه على نظرية "الترتب"[2]، وقال بها وأنكر على أساسها ثمرة الضد، ونظرية الترتب من أدقّ النظريات العلمية، ولا تزال موضع بحث عند العلماء حتى الساعة. يعتبر المحقق الثاني من أبرز المهاجرين العامليين إلى إيران، فقد هاجر في السنوات الأولى لتأسيس دولة الصفويين، وليس هذا فحسب، بل إنه تبوأ في هذه الدولة منزلة لا تدانيها منزلة، إذ يقول الشاهرودي عن الكركي وتنقله في الأمصار ثم استقراره في إيران: "ثم رحل إلى بلاد إيران هادفاً الترويج للمذهب الشيعي، وقد لقي من السلطان الشاه إسماعيل الصفوي آيات الاحترام والتكريم والتقدير. وقد بلغ شأنه في تحديد الوظائف والمراتب حتى قيل: إن كل من يعزله الشيخ الكركي لا يعين ثانية، وإن كل من ينصبه الشيخ لا يعزل بالمرة

وقد تجاوزت مؤلفاته الثلاثين.

2- السيد محسن الامين، أعيان الشيعة.

3- الترتُّب: نظرية اصولية تتحدث عن حكم العقل، في حال نهى الشرع عن أمر، يترتب على ذلك النهي عن ضده، مثلا: لو نهى الشرع عن دخول الارض المغصوبة، وكان وقت الصلاة ضيقاً، هل تتحول الصلاة الواجبة الى محرمة، لعدم جواز الصلاة في الارض المغصوبة، هل يترتب على الامر بالشيء والنهي عن ضده.

* الشهيد الثاني العاملي الجبعي[1] (1505م-1559م)

هو الشيخ زين الدين صاحب "المسالك والروضة"[2]، له مؤلفات كثيرة، وقد رحل في طلب العلم إلى مصر وغيرها، وروى عن كثير من علماء الخاصة والعامة، وهو أكثر علماء الشيعة ابتكاراً، وله تفوق عظيم في العلوم الرياضية. أتقن المعقول والهيئة والهندسة والحساب، كما أتقن العلوم العربية وعلم الحديث وعلم الفقه وعلم الأصول[3]، ومن أبرز كتبه:

- المسالك، هو شرح على شرائع الإسلام للمحقق الحلّي، فيه تمام الفقه.

- الروضة: هو شرح على اللمعة الدمشقية للشهيد الأول في الفقه بتمامه، يُدرَّس إلى اليوم في جامعات الشيعة الكبرى كالنجف الأشرف في العراق، وقم المقدسة في إيران.

- منية المريد في آداب المفيد والمستفيد: كان الشهيد الثاني أول من هذّب الدرس ورتّب العلوم، وجعل هذه الناحية موضع بحث، ووضع فيها كتاباً ووضع برنامجاً للمعلم والمتعلم وقد قيل إنه ترجم إلى عدة لغات.

- الدراية: كان الشهيد الثاني من أوائل العلماء الذي صنّف في الدراية وقد اقتبس الاصطلاحات من كتب العامة، فألّف البداية في الدراية وشرح الدراية[4].

-استشهاده

ترافع شخصان من أهالي مدينة جباع، إلى الشهيد الثاني ليحكم بينهما، قام الشهيد بالفصل بينهما في تلك المرافعة، لكن الشخص الذي حكم الشهيد عليه في تلك الدعوى، خرج مملوءاً بالغضب، وذهب إلى قاضي صيدا ليتهم الشهيد، بالرفض والتشيع. نقل القاضي الأمر إلى

1- نسبةً لبلدته جباع
2- ابو بشر محمد بن احمد بن حماد الدولابي، **كتاب الكنى وألقاب**، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1977م، ص 344.
3- محمد بن سليمان التنكابني، **قصص العلماء**، ط 2، منشورات ذوي القربى، قم: 2008م، ص 419.
4- علي مروه، **تاريخ جباع**، ط 1، دار الاندلس، بيروت: 1967م، ص 62.

السلطان سليم الحاكم العثماني، فأرسل السلطان شخصا من قبله لإلقاء القبض عليه، لكنه فشل في العثور عليه.

فأمر السلطان سليم، وزيره رستم باشا، بتعقب الشهيد وإلقاء القبض عليه حياً، ونقله إليه ليتعرف بنفسه على حقيقة مذهبه، عرف الوزير أن الشهيد سافر إلى الحج، فترصده في الطريق إلى مكة وألقى القبض عليه. طلب الشهيد الثاني منه أن يمهله حتى يتم الحج، فوافق على ذلك، ولما أنهى حجه أخذه إلى السلطان، وفي الطريق قام بقتله بتحريض من أحد الأشخاص، ثم قطع رأسه وأخذه إلى السلطان، الذي وبّخه على ذلك، ولكن الدم الطاهر للعالم الشهيد، لم يذهب هدراً، فحكم على الوزير رستم باشا بالموت لهذه الجريمة النكراء.

وكانت شهادته في سنة 966 هـ، وبقي جسده ثلاثة أيام على الأرض، ثم ألقي في البحر[1].

* **الشيخ حسين بن عبد الصمد** (1511م-1576م)[2]، والد الشيخ البهائي.

هو أول من استدل على حجية الاستصحاب بالروايات، وله مؤلفات عديدة.

* **السيد محمد صاحب "المدارك"** (1535م-1600م)

هو سبط الشهيد الثاني وقد ألف "المدارك" تتمة للمسالك، وله مؤلفات كثيرة إلا أن المدارك أشهرها، ومما ينسب إليه شواهد شرح بدر الدين على ألفية والده محمد بن مالك وشرح القصائد السبع العلويات المنسوبة لابن أبي الحديد وهما مطبوعان[3].

* **الشيخ حسن صاحب[4] "المعالم"**

1- السيد محسن الامين، أعيان الشيعة.
2- المرجع السابق، ص 123.
1- محمد بن سليمان التنكابني، مرجع سابق، ص 476.
4- علي مروة، مرجع سابق، ص 95.

ابن الشهيد الثاني المتوفي سنة 1011هـ\1602م، له مؤلفات كثيرة أشهرها "المعالم"، ويُحسب من المجدّدين في علم الأصول، و"المعالم" لا تزال تُدرَّس في جامعات الشيعة الدينية مع كثرة الكتب المؤلفة في الأصول.

*** الشيخ لطف الله**

هو ابن الفقيه الشيخ عبد الكريم بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ علي بن عبد العالي الميْسي العاملي ثم الأَصفهاني .

كان عالما فاضلاً صالحًا، فقيهًا متبحرًا، عظيم الشأن جليل القدر، أديبًا شاعرًا ولد في ميْس الجبل، وارتحل في أوائل شبابه إلى مدينة مشهد، عكف على تحصيل العلوم، وأخذ الفقه عن شهاب الدين عبد الله بن محمود التستري (الشهيد 997هـ) وغيره، ثم درّس بالروضة الرضوية الشريفة، وتولى نظارتها.

ولما استولت قوات القائد الأوزبكي عبد المؤمن بن الملك عبد الله خان على خراسان، نجا المترجَم منهم، وتوجّه إلى قزوين . فكان بها مدرسًا، وبعد مقتلة قزوين انتقل إلى أصفهان، واتصل بالسلطان عباس الصفوي فعظّمه، وبنى له مسجدًا ومدرسة، فأخذ يقيم صلاة الجمعة في مسجده، ويدرّس الفقه والحديث، ويُفتي، وقد لاقت فتاواه قبولاً في عصره.

أجازه العالمَ الشيخ بهاء الدين العاملي، في رواية جميع ما يحقّ له روايته من المعقول والمنقول والأُصول والفروع، قائلاً في وصفه: الأخ الأعز الأمجد، صدر صحيفة الفقهاء العظام، وديباجة جريدة الفضلاء الكرام، ونتيجة أعاظم العلماء الأعلام ...

بنى له الشاه عباس الصفوي المسجد والمدرسة المشهورين بأصفهان، ولذلك اشتهر ذلك المسجد وتلك المدرسة باسمه، وعيّن له وظائف وإدارات، وكان له عدة أولاد ذكور وإناث، وأكبرهم سنًا وأعظمهم مكانًا الشيخ جعفر.

وكان ممن يعتقد وجوب صلاة الجمعة عينًا في زمن الغيبة، وكان يقيمها في مسجده المذكور ويواظب عليها، وكان سكنه في جوار ذلك المسجد.

*** الشيخ البهائي محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي الجبعي الحارثي** (1545م-1621م)[1]

أول من أنكر ثمرة مسألة الضد، ومسألة الضد، من المسائل الأصولية المهمة، التي هي محل بحث وجدال عند علماء الأصول من الشيعة وغيرهم[2].

وللبهائي مؤلفات تزيد عن الخمسين مؤلفاً، وقد طبع كثير منها ولا يزال بعضها يدرس في الجامعات الدينية، ولعل أشهر كتبه وأكثرها تداولاً الكشكول، والمخلاة وكتاب الأربعين ومفتاح الفلاح والحبل المتين.

*** الشيخ محمد حسن الحر العاملي المشغري** (1621م-1692م)[3]

هو صاحب "الوسائل"، الذي فرغ من بعض أجزائه في سنة 1085هـ، وقد ألفها الحرّ في عشرين سنة، وجمعها من مائة وأربعة وتسعين كتاباً، منها ثمانون بلا واسطة. وهو من أعظم رجالات الإسلام جهاداً في سبيل الدين، وأكثرهم تأليفاً وإتقاناً، وكتاب "الوسائل" من أجلّ الكتب في بابه ترتيباً وتبويباً وجمعاً وضبطاً[4].

*** السيد جواد العاملي**(1751م-1811م)

من بلدة شقراء صاحب مفتاح الكرامة، هو أول من خصص كتاباً لجمع أقوال العلماء في كل مسألة.

1- المرجع نفسه، ص 123.
2- محمد بن سليمان التنكابني، مرجع سابق، ص 394.
3- علي مروة، مرجع سابق، ص 189.
4- الحر العاملي، **سلسلة مؤتمرات هيئة علماء جبل عامل المؤتمر الاول**، ط 1، منشورات دار الثقلين، عام 1999م، ص 137.

*أحمد عارف الزين (1884م. 1960م)

كاتب وصحفي لبناني من بلدة شحور في قضاء صور. بدأ حياته الصحفية بـ"ثمرات الفنون" لليازجي و"الاتحاد العثماني" و"حديقة الأخبار"، ثم أصدر "مجلة العرفان" فجريدة أسبوعية باسم جبل عامل. نشط بالقضايا الوطنية خلال الحكم العثماني في لبنان فاعتقل، وسجن وعطلت صحائفه. وسيق إلى الديوان العرفي في "عالية". أطلق سراحه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918م، فتابع إصدار مجلة العرفان، حتى وافته المنية في مشهد بإيران في عام 1960م.

ومجلة العرفان هي كدائرة معارف للشيعة، كما أنها تحمل صورة كاملة عن الأدب العاملي والعراقي، ولا سيما النجفي منه، وقد لاقى صاحب العرفان، في سبيل حرية ضميره وصدقه في عقيدته مصاعب جمة، من مؤلفاته: تاريخ صيدا[1].

* **السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي** (1873م-1958م)[2]

درس مرحلة المقدّمات عند والده في بلدة شحور قضاء صور، وعندما بلغ سبعة عشر عاماً سافر إلى العراق لإكمال دراسته في حوزة النجف الأشرف والحوزات العلمية المنتشرة في مدن العراق، وبعد إكماله مرحلة السطوح العالية أخذ يحضر دروس المراجع والعلماء الأعلام في النجف الأشرف. عاد إلى جنوب لبنان لأداء مهمّاته الرسالية، بعد أن نال درجة الاجتهاد، كما سافر إلى مصر، للاطّلاع على دروس علماء جامعة الأزهر ومدرّسيها، والاستفادة من آرائهم، ومن جملة أُولئك المدرّسين الشيخ محمّد الكتاني، والشيخ سليم البشري

مؤلّفاته: المراجعات، النص والاجتهاد، المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة(عليهم السلام)، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء (عليها السلام)[3].

* **الشيخ يوسف الفقيه العاملي الحاريصي**: ولد في بلدة حاريص قضاء بنت جبيل.[4]

1- محمد تقي الفقيه، مرجع سابق، ص 119.
2- المرجع السابق، ص 119 و120.
3- مجلة الذكر، نشرة شهرية تعنى بالشؤون الحوزوية، السنة الأولى، العدد الثاني، قم المقدسة: 1992م، ص 33.
4- محمد تقي الفقيه، مرجع سابق، ص 120.

أحد أعلام عصره البارزين على الصعيدين الديني والسياسي، كان عالماً محققا ومجتهدا مطلقا، وفقيها بارعاً، وأصولياً رائعاً، امتاز بشهرة واسعة في ميادين العلوم، سيما منها الأصول والفقه والتفسير والحديث، وله باع طويل في المعارف والحياة الاجتماعية[1].

كان بيته مقصداً لأرباب العلم والفكر والأدب من العلماء والأدباء والشعراء والقادة والزعماء، له كتب كثيرة، طبع عددٌ منها:

- "مصابيح الفقيه" وهو يبحث في الإرث على مذهب الشيعة الامامية.

- "المدنية والإسلام" وهو أول في نوعه، يبحث فيما يرمي إليه الدين الإسلامي أصولاً وفروعاً من الحكم والمصالح.

-"حقائق الإيمان": طبع في مطبعة العرفان سنة 1343هـ. يبحث في أصول معتقدات الشيعة بحثاً مفصلاً مشبعاً بالأدلة و البراهين.

* السيد محسن الأمين ألعاملي[2]

ولد في العام 1867م ، في بلدة شقراء قضاء بنت جبيل. درس مبادئ القراءة والكتابة والمقدمات للحوزة العلمية.

سافر إلى العراق عام 1885م ، استقرّ في النجف الأشرف محط العلماء والمراجع العظام. استمر في النجف حتى عام 1901م بعد أن نال درجة الاجتهاد.

مؤلفاته[3]:

ترك مجموعة كبيرة من المؤلفات، في الفقه والأصول والتاريخ والسيرة والتراجم والأدب وغيرها، منها:

1- مقابلة مع الشيخ يوسف محمد تقي الفقيه، في 15\11\2010م.

2- العقيقي البخشايشي، **كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين**، ط 1، بيروت عام 2002م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ص 217.

3- مجلة الذكر، نشرة شهرية تعنى بالشؤون الحوزوية، السنة الأولى، العدد الثالث، قم المقدسة: 1992م، ص 21.

– أعيان الشيعة في التراجم 56 مجلداً، في الطبعة الأولى، وطبع أخيراً بتحقيق ولده حسن الأمين، بحجم كبير في 10 مجلدات، ومجلد فهارس، ثم استدرك عليه ولده المذكور بمستدركات بلغت 4 مجلدات ضخمة. وهذا الكتاب يُعدّ أكبر موسوعة في تراجم الشيعة.

– كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب . يناقش الفكر الوهابي.

– الشيعة بين الحقائق والأوهام.

– المجالس السنية في مجلدين.

– مفتاح الجنات في الأدعية والزيارات.

– خطط جبل عامل. وغيرها من مطبوع ومخطوط.

وفاته :

توفي منتصف ليلة الأحد، في 30 آذار 1952م، بعد جهاد كبير وعمر مديد، في خدمة الإسلام والمسلمين، دفن عند المدخل الرئيسي لحرم السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام إحدى ضواحي دمشق.

***الشيخ محمد جواد مغنية (1904م–1979)**[1]

ولد في بلدة طير دبا، قضاء صور، هاجر مع والده الشيخ محمود في العام 1908م الى مدينة النجف الأشرف، وبعد بضع سنوات عاد إلى لبنان، وفي العام 1925م رجع إلى النجف لمتابعة دروسه الدينية.

وفي العام 1936م عاد الى لبنان، عمل على الكتابة فكان له العديد من المؤلفات، وفي العام 1951م ترأس المحكمة الجعفرية العليا في بيروت.

***الشيخ محمد تقي يوسف الفقيه العاملي**، ولد في بلدة حاريص (1912م–1999م)[1]

1– علي الحرقي، **محمد جواد مغنية سيرته وعطائه**، ط 1، مكتبة فخراوي، البحرين، عام 1997م، ص 15–17–149–150.

بدأ دراسته في بلدته حاريص، وفي سنة 1926م، أرسله والده إلى النجف الأشرف.
أجازه السيد الحكيم بالاجتهاد المطلق سنة 1954م، منوّها فيها بمكانته العلمية الرفيعة.

عودته إلى جبل عامل:

عاد إلى لبنان سنة 1963م، إثر الاضطرابات التي حصلت في ذلك الوقت في العراق، أقام في حاريص، ثم انتقل للإقامة في بيروت، وفي العام 1983م، ترك بيروت نهائياً بعد الاجتياح الإسرائيلي، وآثر البقاء في حاريص، توفي في 14\2\ 1999م. من **مؤلفاته**:

1- جبل عامل في التاريخ:

2- جامعة النجف في عصرها الحاضر: مقارنة بين الدراسة فيها وبين أعظم الجامعات، ويليه سيرة السيد الحكيم (رض) وفيه صورة عن المرجعية عند الشيعة.

3- حجر وطين: طبع منه أربعة أجزاء في أربعة مجلدات.

***الإمام السيد موسى الصدر(1928م-....)**[2]

ولد الإمام السيد موسى الصدر في مدينة قم المقدسة في إيران، من عائلة تعود جذورها إلى السيد صالح شرف الدين من قرية شحور العاملية في جنوب لبنان. إلتحق بمدارس قم الإبتدائية في العام 1934م، وأنهى دراسته الثانوية في العام 1947م. دخل الحوزة العلمية في العام 1941 وتابع تحصيل العلوم الفقهية وصولاً إلى درجة الإجتهاد في مدينة قم المقدسة. التحق بجامعة طهران عام 1950م، كلية الحقوق، قسم الإقتصاد، وتخرج منها سنة 1953م.

1- مقابلة، مع نجله الشيخ يوسف الفقيه، في 15\11\2010م.

2- مركز الإمام السيد موسى الصدر للأبحاث والدراسات.

رجع إلى مدينة صور أواخر 1959م، وبدأ العمل فيها كعالم دين خلفًا للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس)، وذلك بتشجيع ومباركة من المرجع الأكبر السيد البروجردي.

-الدور الاجتماعي للسيد موسى الصدر

وفي العام 1961م، أطلق الإمام الصدر عمله الإجتماعي المؤسساتي بدءاً بإعادة تنظيم هيكلية"جمعية البر والإحسان"، وإنشاء مؤسسات عامة تعنى بالشؤون التربوية، المهنية، الصحية، الإجتماعية والحوزوية. وقد أثمرت هذه النشاطات إنجازات عديدة، كان أهمها إنشاء مهنية جبل عامل وأسند إدارتها إلى الشهيد الدكتور مصطفى شمران وكان لها الدور الأساسي في تخريج المجاهدين الذين تصدوا للاعتداءات الإسرائيلية منذ بداياتها.

وفي العام 1963م أعلن الإمام الصدر، بعد جولته في أوروبا، أن هدف رحلته كان التعرف على الحضارات الجديدة والوقوف على مجالات التقدم فيها لجهة تطوير مناهج وأساليب العمل في المؤسسات الخيرية والإجتماعية والكهنوتية.

وكان الإمام قد شارك في مراسم تتويج قداسة البابا بولس السادس، بناء على دعوة رسمية وكان رجل الدين المسلم الوحيد الذي دُعي لهذه المناسبة.

-السيد موسى وتنظيم الطائفة الشيعية

وفي العام 1966م عقد مؤتمراً صحفياً في مقر نقابة الصحافة بيّن فيه الأسباب الموجبة لتنظيم الطائفة الشيعية، وذلك بعد دراسات واستشارات وتحركات مكثفة مما أدى إلى إقرار مجلس النواب قانون إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في عام 1967. كانت هذه الخطوة مقدمة لحركة مطلبية إنمائية لبنانية عامة من أجل رفع الحرمان والدفاع عن الجنوب أرضاً وشعباً.
وفي العام 1969م انتخب الإمام السيد موسى الصدر رئيساً للمجلس الإسلامي الشيعي

الأعلى وأعلن برنامج العمل لهذا المجلس. ووجه دعوة لتوحيد الشعائر الدينية بين المذاهب الإسلامية، كما حذر من الخطر الصهيوني المتزايد، وأكد دعمه للمقاومة الفلسطينية لتحرير الأرض المغتصبة.

أسس الامام الصدر "هيئة نصرة الجنوب" بمشاركة رؤساء الطوائف اللبنانية. دعا إلى إضراب سلمي وطني عام 1972م في 26 أيار، تجمع على إثره حوالي 50 ألف شخص أمام مبنى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في "الحازمية"، فأنشأت الدولة اللبنانية" مجلس الجنوب "نتيجة لهذا الإضراب وبهدف تنمية الجنوب ورفع الحرمان عن لبنان. قام بجولة على بعض العواصم الأوروبية دعمًا للقضية الفلسطينية، فعقد مؤتمراً صحفيًا في مدينة "بون" الألمانية أوضح فيه حقيقة القضية الفلسطينية وندد بمحاولات تهويد المدينة المقدسة. وفي مقابلة صحافية في فرنسا قال: "إن مأساة فلسطين لطخة سوداء في الضمير العالمي، وإن نضال الشعب الفلسطيني هو دفاع عن الأديان وعن قداسة القدس، وإن إسرائيل دولة عنصرية توسعية، وإن لبنان بتعايش الأديان فيه ضرورة دينية حضارية".

– إنشاء حركة المحرومين "أمل"

وفي اذار 1974م، دعا إلى مهرجان بعلبك (حضره مئة ألف شخص)، ومهرجان صور في أيار (حضرة مئة وخمسون ألف شخص)، أقسم خلاله الجميع مع الإمام الصدر على عدم الهدوء، حتى لا يبقى محروم أو منطقة محرومة في لبنان، وأدى ذلك إلى ولادة "حركة المحرومين وإصدار "وثيقة المثقفين"، المؤيدين لحركة الإمام الصدر المطلبية، التي وقعها أكثر من 190 شخصية من قادة الرأي والفكر في لبنان، يمثلون كافة الفئات والطوائف اللبنانية.

أعلن عن ولادة "أفواج المقاومة اللبنانية أمل" في مؤتمر صحفي في العام 1975م.

–مواجهة الفتنة والحرب الاهلية في العام 1975م

وفي العام 1975م بادر الإمام إلى بذل المساعي والجهود لدى مختلف الأفرقاء لوأد الفتنة وتهدئة الوضع في لبنان فوجه النداء تلو النداء محذرًا من مؤامرات العدو ومخططات الفتنة، ودعا اللبنانيين لحفظ وطنهم، وناشد الفلسطينيين حفظ قضيتهم التي جعلت لها من قلب لبنان عرشها.

عمل على تشكيل" لجنة التهدئة الوطنية "محدداً خطوط تحركها العريضة بالمحافظة على التعايش، واعتماد الحوار والوسائل الديمقراطية لتحقيق الإصلاحات، ووجوب المحافظة على الثورة الفلسطينية. واحتجاجاً على استمرار الحرب الأهلية، بدأ الامام في 27 حزيران اعتصاماً في "مسجد العاملية" بيروت متعبداً صائماً وأنهاه بعد خمسة أيام، إثر تشكيل حكومة مصالحة وطنية، تبنت مطالب الإمام الشعبية. وتوجه بعدها إلى قرى القاع، ودير الأحمر، في البقاع لفك الحصار عنها ووأد الفتنة الطائفية. وبمبادرة منه تم عقد القمة الروحية لجميع رؤساء الطوائف اللبنانية.

وفي العام 1978م، قام بجولة عربية على عدد من الرؤساء، إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان، حيث وصل والشيخ محمد يعقوب والأستاذ عباس بدر الدين إلى "طرابلس" في ليبيا في 25 آب تلبية لدعوة رسمية من سلطاتها العليا، وانقطع الاتصال بهم هناك، اعتباراً من 31 آب وحتى اليوم.

- **الشيعة والهجرة في جبل عامل**

اما في ما يتعلق بظروف الشيعة في جبل عامل، هناك عوامل ساعدت في هجرتهم، مثل المضايقات التي كانوا يتعرضون لها على يد السلطة العثمانية، وحكومات الشام، و"بعد النهضة العلمية لجبل عامل، التي جعلت من هذه المنطقة موقعاً علمياً وثقافياً ومركزاً اساسيا للشيعة، اصبحت ضمن اهداف الحكومات السنية التي كانت تحارب الوجود الشيعي. وفي العام 1517م وعند وصول السلطان سليم الاول الى حلب، وتغلبه على السلطان المملوكي قانصو الغوري، احكم العثمانيون سيطرتهم على الشام واستمروا ثلاثماية عام، واكملوا خلالها سياسة المماليك في ايذاء الشيعة في هذه المنطقة. وكانت محاربة علماء الشيعة وخصوصا علماء جبل عامل، من الاهداف الاولى للحكم العثماني، الذي مارس عمليات الاعتقال والقتل واغلاق المدارس".

"في عهد سليم الاول اصدر الشيخ نوح الحنفي مفتي البلاط العثماني فتوى بوجوب قتل الشيعة وعلى اساس تلك الفتوى، قام السلاطين العثمانيون بإعدام الكثير من العلماء والفقهاء الشيعة، في حلب، وجبل عامل، ومناطق اخرى، وقد كتب الشيخ حسين العاملي، الى استاذه "الشهيد الثاني" معتبراً هجرته كهجرة الرسول الاكرم (ص) كون سبب الهجرتين الضغوط الآتية من جانب الاعداء. وبالفعل فقد أدت تلك الضغوط على الشيعة من جانب الحكومات السنية في الشام الى توسيع نطاق الهجرة، ليس فقط الى ايران، بل الى مناطق اخرى مثل الحجاز والعراق والهند".

لكن لماذا هاجر غالبية العامليين الى ايران؟

"رغم ان الشيخ حسين بن عبد الصمد ألجباعي الحارثي يكتب لابنه الشيخ البهائي، قائلاً انه لن يجد في ايران لا الدين ولا الدنيا، الا ان الحقيقة هي ان ايران كانت مهداً لطالبي الدين، كما هي لطالبي الدنيا".

والبعض يرجع لأسباب اقتصادية دفعت العامليين للهجرة الى ايران، اذ "كان المهاجرون عموماً يجدون في ايران ظروفا اقتصادية مواتية. والذين تجاوبوا مع الحكومة الصفوية وتضامنوا معها، كانوا يحصلون على عطايا وهدايا، على شكل املاك واموال نقدية وعينية".

وكانت الحصيلة ان 97 من علماء جبل عامل هاجروا الى ايران، ولم يعد منهم الى جبل عامل سوى سبعة فقط.

لعب علماء جبل عامل المهاجرون دورا مهما في ايران، على الصعيدين السياسي والديني، ويمكن تقسيمهم إلى فريقين:

الاول: دعم الصفويين وانسجم مع نهجهم، ولم يكتف بذلك، بل استخدم اساليب متعددة لإثبات شرعية الحكم الصفوي، كممثل للشيعة عبر الاحاديث والخطب والكتب، التي دافع فيها عن الصفويين، وخاض مواجهة ضد معارضيهم.

الثاني: ابتعد عن الحكم، ولم يتوان عن التصدي للجوانب الدينية السلبية، والظلم الذي كان يمارسه الصفويون، فلم يتأخر هؤلاء عن كشف الممارسات السلبية لملوك الصفويين دون اي خوف.

أما عن موقف الشيعة من السلطة، والتعاون مع الحاكم، فالبعض يحاول ايجاد اساس فقهي لموقف علماء جبل عامل الذين تعاونوا مع الصفويين. وهم يشيرون الى رسالة بعنوان: "مسألة في العمل مع السلطان" للشريف المرتضى المتوفى عام 1044، والذي عمل مع عدد من خلفاء العباسيين. وفي تلك الرسالة يجيز المرتضى عمل العلماء مع السلاطين في ظل ظروف خاصة. وكذلك كان موقف علماء كبار مثل العلامة خواجة نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي، الذين عملوا مع الإيلخانيين المغول وهولاكو، وهو ما استند اليه المحقق الكركي، للرد على الذين انتقدوا عمله مع الصفويين.

ومن آثار العصر الصفوي هناك شواهد عدة، على ان علماء ذلك العصر تعاونوا مع الحكم، استنادا الى التزام... ويقول العديد من المفكرين، ان علماء الشيعة رأوا ان الملك الصفوي يحكم باسم التشيع الامامية الاثني عشرية، ويعمل على احترام شعائر المذهب، فبادروا الى التعاون السلمي معه، دون ان يعني ذلك اعترافاً بالشرعية الكاملة للحكم، لأنهم يعتبرونه في كل الاحوال، غاصباً لحق الامام الغائب في الحكم، الا ان هذا الغصب لا يصدر عن سوء نية واستغلال لذلك يمكن غض الطرف عنه.

وحول علماء جبل عامل المهاجرين الى ايران، "فقهاء جبل عامل"، ورثوا عن اساتذتهم تقليدا يقول انهم حراس الشريعة ونواب الامام المعصوم، اضافة الى واجبات العلماء الاخرى... و"الشهيد الاول" كان يجيز للفقيه التعاون مع السلطان، اذا ما طلبه الاخير لإدارة الشؤون الشرعية والقضاء، الا في حالات اصدار حكم بالقتل" .

وكثر الحديث في العصر الصفوي، عن دور الفقيه الجامع للشرائط في شؤون الحكم وتوسيع هذا الدور، وذلك على يد علماء جبل عامل. وقد سعى ملوك الصفويين بعد اسماعيل الاول الى تقديم

الدعم السياسي للفقيه، واعتباره نائبا للإمام الغائب، مما كان يعني ان الملك هو ايضا نائب للإمام الغائب.

- التأثير العلمي والادبي:

ساهم علماء جبل عامل، في نقل الكثير من مصادر العلوم الدينية والفقهية الشيعية الى ايران، التي كانت في عهد الشاه اسماعيل الصفوي، تعاني من نقص في علماء الدين والمصادر العلمية.

وقد ساهم هؤلاء في وضع العديد من الكتب في مجالات الفقه، وعلم الكلام والتفسير والعلوم الاخرى، كما قام المحقق الكركي بتدريس الكثير من الفقهاء والمحدثين، واعدادهم، وهم الذين قاموا بدورهم بتدريس اعداد كبيرة من العلماء الآخرين.

وقد انتشرت المدارس الدينية في ظل الهجرة، وحمل بعض المدارس اسماء العلماء المهاجرين العامليين مثل مدرسة الشيخ لطف الله الميسي.

واللافت ان هؤلاء المهاجرين اهتموا بعلوم عصرية مثل الطب والرياضيات والتاريخ وكذلك الادب الفارسي، مثل الشيخ حسين بن شهاب الدين العاملي الكركي، الذي كان فيلسوفاً كبيراً وكاتباً وشاعراً وله رسالة في النحو والمنطق اضافة الى كتاب في علم الطب.

اما الشيخ البهائي (المتوفي عام 1620م) كان من ابرز الوجوه العلمية العاملية المهاجرة،، وقد وضع كتباً عديدة في الادب والرياضيات.

ومن معالم الدور الثقافي والعلمي لعلماء جبل عامل في ايران، اقامة مكتبة "آستان قوس رضوي" الضخمة في مشهد. كما ساهمت الهجرة العاملية في تأليف العديد من الكتب الشيعية باللغة العربية ونشرها.

ويشار الى ان علماء جبل عامل كانوا يضعون كتبهم ورسائلهم باللغة العربية، مما جعل انتعاش اللغة العربية من سمات تلك الحقبة، وكانت العربية لغة التدريس، مما ادى الى تراجع اللغة الفارسية لدى طلبة العلوم الدينية.

ج – الفتوى والقضاء في جبل عامل

كان السيد محمد علي الأمين(1476م-1533م)، مفتي بلاد بشارة، وكان أبوه مفتياً أيضاً، وذلك "بفرمانات" تصدر من الولاة، والحكام[1].

كما كان للشيخ الحانيني المتوفي سنة 1626م، منصب الإفتاء، في إمارة فخر الدين المعني، وكان السيد علي ابراهيم، معاصراً للسيد علي الأمين مفتياً في قضاء صيدا.

بقي مراجع القضاء والفتوى في جبل عامل، العلماء المجتهدين[2]، سواء في عهد قضاة الأتراك الأحناف أو في زمن قضاته الشيعة والمفتين الرسميين في العهد الاقطاعي، أم في زمن امتياز لبنان القديم، أم في عهد الاحتلال الفرنسي، وأما القضاة و المفتون المعينون من قبل الحكام فليس لهم من القضاء إلا الاسم إذا لم يكونوا مجتهدين عدولاً، لأنّ الشيعة تعتقد أن منصبي الفتوى والقضاء مختصان بالفقهاء القادرين على استنباط الأحكام الشرعية من الادلة الأربعة، الكتاب والسنَّة والاجماع ودليل العقل.

-التقسيمات الادارية في جبل عامل بعد زوال حكم العشائر

1- محسن الامين، مرجع سابق، ص 136.

2- المجتهد هو العالم، صاحب الملكة على الاجتهاد والقدرة على الاستنباط، القادر على استخراج الاحكام الشرعية من مداركها الصحيحة.

وبعد زوال حكم العشائر عن البلاد سنة (1282هـ- 1865م)[1]، شكّل في جبل عامل ثلاثة أقضية، صيدا وصور ومرجعيون، وعيّن لها ثلاثة قائمقامين الأول في مرجعيون ومركزه قرية كفركلا، ثم نُقل منها إلى جديدة مرجعيون، والثاني في مدينة صيدا، اما الثالث في مدينة صور، ومديريتان إحداهما في تبنين تتبع لقائمقام صور، والأخرى في النبطية تتبع لقائمقام صيدا. وبعد الاحتلال الفرنسي جعلت صيدا متصرفية، ثم أبدل اسم المتصرف باسم محافظ، وزيد في عدد المديريات، فأضيف إلى مديريتي النبطية وتبنين، مديريات علما الشعب وبنت جبيل وتتبعان لقائمقام صور، وعدلون تتبع لمحافظة صيدا، وجعلت محاكم نظامية في صيدا وصور ومرجعيون، مؤلفة من رئيس وثلاثة أعضاء، وكاتبين، ومحكمة صلح في النبطية، مؤلفة من حاكم وكاتب، ثم أُلغيت المديريات كلها، في الجمهورية اللبنانية، وأبدل اسم القائمقام بالمحافظ، ثم أعيد اسم القائمقام لصور، ومرجعيون، وخصّ اسم المحافظ، بمتصرف صيدا، وأُلغيت المحاكم من صور ومرجعيون، واستبدلت بحكام صلح، وأبقيت محكمة صيدا فقط، واليها مرجع المحاكم الصلحية، وأنشئت محكمة صلح في العام 1865م، تقيم في تبنين ستة أشهر، واخرى في بنت جبيل[2]، وأصبح حكم جبل عامل مؤلفاً من محافظة في صيدا، وقائمقامين في صور ومرجعيون وجزين، ومحكمة بداية (واستئناف لأحكام حكام الصلح) في صيدا، وخمسة حكّام صلح، في جزين والنبطية وصور ومرجعيون، وما بين تبنين وبنت جبيل. وبعد الحرب العالمية الأولى عيّن من الشيعة في جبل عامل مفتون في صور وصيدا ومرجعيون[3].

ثالثا: محطات تاريخية في جبل عامل

لا يتسع المقام للحديث عن التطورات السياسية، التي مرّ بها جبل عامل، منذ صدر الإسلام، حتى الحروب الصليبية، وقيام الدولة العثمانية إلى الانتداب الفرنسي، ثم الاستقلال، وإلى مراحل الاجتياح الإسرائيلي، لذا سأتحدث وبإختصار عن الحملات الصليبية، وصلاح الدين، وصولاً إلى العهد العثماني، باعتباره آخر من حكم جبل عامل قبل قيام دولة لبنان الكبير، والقضاء على السلطة الذاتية للجبل، بل ضمّه قصرياً إلى الدولة الجديدة.

1- محسن الامين، مرجع سابق، ص136.
2- المرجع السابق، ص 138.
3- المرجع نفسه، ص138.

-الغزو الصليبي

بدأت الحملات الصليبية على بلاد المشرق الإسلامي عام 1095م، وقد مرّت بالساحل اللبناني حيث تساقطت مدنه تباعاً حتّى سقطت صيدا في 4 / 12 / 1110م. أمّا صُور فصمدت عشرين عاماً قبل سقوطها عام 1124م، وذلك بفضل ثباتها ونجدة السلاجقة من دمشق والاسطول الفاطمي من مصر، ونجدة أهالي جبل عامل لها بالرغم من وجودهم تحت سيطرة الصليبيين الذين أعادوا بناء قلعة كبيرة في تِبْنين، لمراقبة حصار صُور، وإذا كانت القرى والأرياف ظلت عامرة بسكانها، نظراً لحاجة الصليبيين إلى الأهالي لحراثة الأرض وزراعتها لتؤمّن حاجتهم من القوت، فإن المدن اللبنانية الساحلية شهدت القتل والدمار والتهجير، وشهد أهاليها أبشع المجازر وصور التعذيب .والأمر نفسه عرفته بقية المدن في المشرق الإسلامي، الأمر الذي أثار استياء الرأي العام، فأخذ الفقهاء والعلماء يخطبون من فوق المنابر مُنوِّهين بفضل الجهاد والمجاهدين وبفضل القدس التي استهدفتها الحملات الصليبية.

إذا دخلت الجيوش الصليبية لبنان من شماله، اواخر القرن الحادي عشر للميلاد، وسارت على طول الساحل اللبناني حتى مدينة صيدا، (بوابة جبل عامل) التي امتنع اهلها عن التفاوض معهم على الرغم من تهديدهم بإتلاف الزرع وتخريب البساتين. ولما سقطت القدس اصبح لا بد أمام الصليبيين من السيطرة على الساحل اللبناني، لضمان وصول النجدات من أوروبا. فهاجموا مدنه وقراه، حيث سقطت بأيديهم على التوالي كل من جبيل، طرابلس ثم بيروت.

أما منطقة جبل عامل فقد امتنعت على الصليبيين، وذلك لوصول النجدات اليها من البر بواسطة السلاجقة، ومن البحر بواسطة الفاطميين. لذا صمم الصليبيون على فتحها للضرورات التالية:

اولاً : انها تشكل الظهير العسكري لمدينة صور التي تصلها الامدادات من دمشق.

ثانياً : انها غنية بالموارد الزراعية التي تفتقر اليها مملكة بيت المقدس.

ثالثاً : انها معبر للقوافل التجارية حيث تربط منطقة دمشق بميناء صور.

رابعاً : انها تتحكم عسكرياً في الممرات الشمالية لامارة الجليل التي تعتبر من الامارات الصليبية المهمة.

وهكذا بدأ التغلغل العسكري الصليبي ينتشر في منطقة جبل عامل تدريجياً، على اثر استقرار الصليبيين في بيت المقدس، ووصول النجدات المتتالية اليهم عن طريق البحر. فأقاموا القلاع والحصون الكثيرة، التي كان من اشهرها قلعة تبنين (Tyron) وقلعة الشقيف أرنون، وقلعة الاسكندرونة، وحصن تل المعشوق، لتشديد الحصار على مدينة صور آخر ما ملكه الصليبيون على الساحل اللبناني.

هذه الاحداث تضعنا امام الحقيقة التالية وهي : ان تمسك الصليبيين بفكرة التوسع باتجاه منطقة جبل عامل، جعل حكام دمشق والقاهرة من السلاجقة والفاطميين والمماليك فيما بعد، بحكم ما بين هذه المنطقة وغيرها من الروابط القومية والعقدية، يحاولون على مدى قرنين من الزمن استعادتها، بقدر ما كانوا يجاهدون في الوقت نفسه لاستعادة بقية الاراضي العربية، التي أقام عليها الصليبيون مملكتهم واماراتهم.

استمر الصليبيون يسيطرون على منطقة جبل عامل، بواسطة جاليات عسكرية اقاموها في المدن والقلاع والحصون، المنتشرة في جميع انحاء المنطقة. ولم تكن مناوشات السلاجقة للصليبيين لتعيق هذا الاحتلال حتى عهد نورالدين – الذي رفع من دمشق شعار المقاومة– الذي كان يعتبر من أهم المرتكزات الاساسية لاضفاء الشرعية على اية سلطة تستولي على الحكم في المناطق الاسلامية.

وأدت حروب نورالدين للصليبيين، بالاضافة الى ما كانت تحمله اماراتهم بين طياتها من عوامل التفسخ والانهيار، الى انهاك قواهم العسكرية، واعاقة توغلهم التجاري في المناطق الاسلامية، الامر الذي جعل المدن التجارية – صاحبة الفضل الاول في السيطرة– تحجم عن تقديم المساعدات لهم.

وبينما تذكر بعض المصادر المعاصرة ومنها "ابن القلانسي" ان نورالدين هزم الصليبيين ومعهم بعض المسلمين في جبل عامل قرب بانياس، نرى العامليين يساندون صلاح الدين في حروبه.

وتفسير ذلك انه ليس من المستغرب ان يضم جيش الصليبيين بعض المسلمين، لان النظام الاقطاعي الذي كان سائداً كان يعتمد على تأدية خدمة عسكرية سنوية يؤديها التابع للمتبوع بحسب التشريعات والاعراف الاقطاعية.

ومع ان القوة الصليبية استرجعت بعض ما فقدته من مناطق في عهد خلفاء صلاح الدين، فان بروز القوة العسكرية المملوكية منذ بداية النصف الثاني للقرن الثالث عشر، كانت عاملاً حاسماً في اجلاء الصليبيين عن المنطقة برمتها. اذ لم تكد سنة 1291 تنتهي حتى اصبح لبنان –بما فيه منطقة جبل عامل– تحت الحكم المملوكي الذي استمر حتى سنة 1516، ميلادية عندما حل العثمانيون محل المماليك.

–صلاح الدين الأيوبي بين الخيانة والغدر

أ– خيانته للخليفة الفاطمي العاضد:

في عام 564هـ كان الصليبيون يهددون مصر (الفاطمية)، ويتحفزون للوثوب عليها، بعد أن خبروا أحوالها، فرأى الخليفة الفاطمي (العاضد)، أن لا قدرة لمصر بمواجهة الصليبيين، لكثافة قواهم وتفوقها على القوى المصرية، فتجلّت وطنيته على أبرز صورها، فتناسى ما بينه وبين الآخرين(المسلمين السنّة) من عداوة، وأغضى عما طالما بيتوه له ولأسرته من تآمر، وصمم على الاستنجاد بالقوى الإسلامية خارج مصر، مهما كان في هذا الاستنجاد من مخاطر عليه وعلى أسرته[1].

ورأى أن أقرب القوى إليه في الشام، وفيها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، وكان الصليبيون زحفوا على عسقلان، حتى وصلوا إلى بلبيس فاحتلوها وفتكوا بأهلها، ثم مشوا إلى القاهرة وحاصروها، فتقرر إحراق مدينة الفسطاط المتصلة بالقاهرة، خوفاً عليها من الصليبيين،

1– نقلاً عن السيد حسن الأمين.

فأحرقت وظلت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً، ولعوامل عديدة، فك الصليبيون الحصار عن القاهرة وعادوا من حيث أتوا، ولكن الخطر مازال جاثماً، فكرر العاضد الاستنجاد بنور الدين[1].

فقرر نور الدين تلبية الطلب، فأرسل حملة مؤلفة من ثمانية آلاف فارس، بقيادة أسد الدين شيركوه، ومعه ابن أخيه صلاح الدين،... وجاءت الحملة إلى مصر حيث لقيت ترحيباً وابتهاجاً، وفعل العاضد أكثر من الترحيب، فأناط الحكم بأسد الدين شيركوه وجعله وزيراً له، ولكنه لم يلبث في الوزارة إلاّ شهرين وخمسة أيام، ثم توفي فجأة، وتطلع إلى الوزارة بضعة رجال من قواد الجيش الذي قدم مع أسد الدين، وكان التزاحم بينهم شديداً، ولكن العاضد آثر عليهم جميعاً صلاح الدين.

يقول أبو شامة في كتابه (الروضتين): (فأرسل الخليفة (العاضد) إلى صلاح الدين، فأمره بالحضور إلى قصره ليخلع عليه الوزارة ويوليه بعد عمّه[2].2

وهكذا أمدّ الخليفة (العاضد) وزيره صلاح الدين بالقوة، ووضع في يده أسبابها، ومكّن له في الحكم، استعداداً للدفاع في وجه الصليبيين إذا حاولوا إعادة الكرّة على مصر، ثم للهجوم عليهم فيما احتلوه من بلاد، وقد صحّ ما توقعه العاضد، فقد وصل الصليبيون في ربيع الأول سنة 565هـ.

يقول المقريزي: فخرجت العساكر من القاهرة، وقد بلغت النفقة عليها زيادة على 550 ألف دينار، فأقامت الحرب مدة خمسة وخمسين يوماً، وكانت صعبة شديدة ...إلى أن رحل الصليبيون عن دمياط... ، يضيف المقريزي: وكان صلاح الدين يقول: ما رأيت أكرم من العاضد، أرسل إليّ مدة إقامة الفرنج على دمياط ألف ألف دينار، سوى ما أرسله إليّ من الثياب وغيرها[3].

1- السيد حسن الأمين، صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين، ص 184، (انظر (الروضتين في أخبار الدولتين)، القسم الثاني من الجزء الأول ص 391 وما بعدها من طبعة 1962، لعبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، المعروف بأبي شامة.

2- السيد حسن الأمين، المصدر السابق، ص 184- 185.

3- خطط المقريزي، ج 1، ص 215.

ولم يترك (العاضد) وسيلة تشيد بصلاح الدين، وترفع من شأنه وتزيد في تكريمه إلاّ اتّبعها.

فكيف تُرى خلفه صلاح الدين في ماله وبلاده؟.. وكيف قابل نجم الدين كرمه وأريحيته وحسن استقباله؟ .!لقد كان (العاضد) في وادٍ، وصلاح الدين وأبوه نجم الدين في واد آخر.

كانت الخطة قد وضعت قديماً في الشام، بين نور الدين محمود وأسد الدين شيركوه، وصلاح الدين ونجم الدين عالمان بها، وذلك بأن تكون النجدة لا لإنقاذ البلاد من الصليبيين، بل للقضاء على العاضد ودولته.

وهكذا يكون العاضد ودولته قد نكبا، وراحا ضحية مطامع نور الدين زنكي، وخيانات صلاح الدين وأبيه من طرف، ومن طرف آخر، إخلاص العاضد للإسلام، ووطنيته تجاه بلده مصر، وإيثاره الاستنجاد بإخوته المسلمين، بدلاً من التفاوض مع الصليبيين والرضوخ إلى ابتزازهم، والنزول عند شروطهم، كما فعل صلاح الدين، وكثير غيره من الحكام والسلاطين المسلمين.

والأنكى من ذلك، أن صلاح الدين الذي كان يتحدث عن كرم العاضد وحسن رفادته وضيافته، قد قابل كرم العاضد وحبه الشديد له بالجحود والنكران، فيقول المقريزي: وعاد فكثر القول عن صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد[1].

وهكذا، فبعد انقضاء سنتين فقط على وصول شيركوه وصلاح الدين إلى مصر، كافأوا العاضد بالقضاء عليه وعلى دولته، ولم تدخل سنة 567هـ حتى استفتحها صلاح الدين بإقامة الخطبة في مصر لبني العباس، كما يقول صاحب كتاب الروضتين، والخليفة العاضد لا يزال حياً[2].

ب – خيانته لولي نعمته نور الدين:

كان نور الدين زنكي قد عزم على التخلص من الصليبيين والقضاء عليهم، وبنى خطته على أن يزحف هو من الشام، ويزحف صلاح الدين من مصر، ويحصرا الصليبيين بين الجيشين، وسار صلاح الدين كما يقول ابن العديم في الجزء الثاني من كتابه (زبدة الحلب في تاريخ حلب): (فنازل

1- خطط المقريزي، ج 1، ص 358- 359.
2- السيد الأمين، المصدر السابق، ص 168.

حصن الشوبك وحصره... فلما سمع نور الدين بذلك، سار من دمشق ليدخل بلاد الإفرنج من الجهة الأخرى، فقيل للملك الناصر صلاح الدين، إن دخل نور الدين من جانب وأنت من هذا الجانب، ملك بلاد الإفرنج، فلا يبقى لك معه بديار مصر مقام، وإن جاء وأنت هاهنا، فلا بد من الاجتماع به، ويبقى هو المتحكم فيك بما يشاء، والمصلحة الرجوع إلى مصر، فرحل عن الشوبك إلى مصر[1].

ويبدو جلياً أن صلاح الدين لم يتوقع النصر السريع على الصليبيين، لذلك زحف متجهاً إلى الكرك، فلما بدت طلائع النصر نكص على عقبيه، مؤثراً الاحتماء من نور الدين بالصليبيين، على معاضدة نور الدين عليهم، فاضطر نور الدين إلى الرجوع غاضباً على صلاح الدين، لإخلاله بخطة نور الدين التي كانا قد اتفقا عليها .

ولم يكن نور الدين بالذي يفوته قصد صلاح الدين من نكوصه عن تنفيذ ذلك الاتفاق، فعزم على القدوم بنفسه إلى مصر ليؤدبه، كما نص على ذلك ابن الأثير وأبو شامة وابن العديم وغيرهم، ونكتفي هنا بنص أبي شامة إذ يقول: (وكان نور الدين قد شرع بتجهيز السير إلى مصر، لأخذها من صلاح الدين، لأنه رأى منه فتوراً في غزو الفرنج من ناحيته، فأرسل إلى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر، يطلب العساكر ليتركها بالشام لمنعه من الفرنج، ليسير هو بعساكره إلى مصر، فإنه- صلاح الدين - كان يعتقد أن نور الدين متى زال عن طريقه الفرنج أخذ البلاد منه، فكان يحتمي بهم عليه، ولا يؤثر استئصالهم)[2]. 13

ج- خيانته للخليفة الناصر العباسي

كان الخليفة العباسي الناصر، قد تخلص في بغداد من سيطرة السلاجقة، واستقلّ عنهم برقعة كبيرة من الأرض الإسلامية، وكما يقول ابن كثير (استحوذ جيش الخليفة على بلاد الري وأصبهان وهمذان وخوزستان وغيرها من البلاد، وقوي جانب الخلافة والخليفة على الملوك والممالك)(15)، ولقد بنى فيها جيشاً قوياً، وعزم على أن يرسل جيشه هذا إلى فلسطين، للتعاون مع جيش صلاح الدين على تحرير ما لم يتحرر من الأرض الإسلامية من الصليبيين، فأرسل يستأذن صلاح الدين، فرفض قدوم جيش الخلافة، لأنه اعتقد أنه سيصبح والياً من ولاة الخليفة تابعاً له.

1- السيد الأمين، المصدر السابق، ص 168.

2- المصدر نفسه.

ولما بلغ الخليفة هذا الرفض، مع كل ما نقل إليه عن صلاح الدين، أرسل مبعوثاً وصل في شهر شوال من سنة 583هـ – أي بعد فتح القدس بثلاثة أشهر فقط – مع رسالة شديدة اللهجة، مملوءة بالتعنيف لصلاح الدين[1]، فتظاهر هذا بالسكوت، ولكنه راح يعرض الرسالة على من سماهم (أكابر القوم)، ونجح أسلوب صلاح الدين كما يقول العماد، في دفع أولئك الأكابر إلى نقد تلك الرسالة بعنف مماثل، وإلى تحريض صلاح الدين على التمرد على الخليفة، وهذا هو عين ما كان يبيته صلاح الدين في نفسه ويمهد له، ليكون هؤلاء مستعدين بل متحمسين لقتال جيش الخليفة إذا جاء إلى فلسطين.

رأى صلاح الدين أن من الحكمة أن يؤخر الصدام بالخليفة، وأن لا يعجّل باستفزازه قبل أن يهيئ وسائل المقاومة ويرتب التحالفات، وبادر على الفور إلى التفاوض سراً مع الصليبيين لعقد هدنة تنهي الحروب بينهما، وتتيح له التحالف معهم لقتال العدو المشترك (خليفة المسلمين) الذي لم تكن يومئذ خلافة شرعية لسواه.

وغني عن البيان أن هذه الخيانات الثلاث: للخليفة الفاطمي (العاضد(، والخليفة العباسي (الناصر)، والسلطان الأيوبي (نور الدين زنكي)، تعتبر خيانة عظمى للإسلام والمسلمين في ذلك الحين، عدا عن أن مجرد وقف الحرب ضد الصليبيين قبل إخراجهم من بلاد المسلمين، وتحريرها من نير سلطانهم واحتلالهم الغاشم، يعتبر بحد ذاته خيانة عظمى لا جزاء لها إلاّ القتل، فكيف بالتحالف معهم ضد المسلمين وخليفتهم الشرعي؟.!

– عنف صلاح الدين وبطشه

ما أن قويت سلطة صلاح الدين على الخليفة الفاطمي العاضد، واستتبّ له الأمر في مصر بعد التآمر عليه وقطع الخطبة له وإقامتها لبني العباس، حتى أقدم صلاح الدين على جريمة لم يسبق لحاكم أن أقدم على مثلها أبداً، حتى في أشد العصور طغياناً وهمجيةً وظلماً[2]، (فقد احتجز جميع

1– تفصيل المراسلات والمفاوضات بين الخليفة وصلاح الدين، مبسوطة في كتاب عماد الدين الأصفهاني: (الفتح القسي في الفتح القدسي)، وأخبار الرسالة العنيفة المنوه عنها تجدها على ص 183، وما بعدها، ويذكر العماد أن صلاح الدين قد وصف تلك الرسالة بأنها (ألفاظ فظاظ وأسجاع غلاظ...قد كان أمكن إيداع هذه المعاني في أرق منها لفظاً وأرفق.

2– السيد الأمين، المصدر السابق، ص 169.

رجال الأسرة الفاطمية في مكان، واحتجز جميع نسائها في مكان آخر، ومنع الفريقين من الزواج لئلا يتناسلوا...) يقول العماد: (وهم إلى الآن محصورون محسّرون لم يظهروا)[1]، ثم أعمل النهب والسلب في دورهم وقصورهم، وقد تبجح بهذه الأعمال شعراء صلاح الدين، ومن ذلك ما قاله العماد الأصفهاني في قصيدة بذيئة طويلة:

عاد حريم الأعداء منتهك الحمى وفيء الطغاة مقتَسَما

ثم عمد صلاح الدين إلى المذهب الجعفري فأبطله وحرّم تدريسه ومنع الناس من العمل به، ومال على أشياعه وأتباعه فأوقع فيهم القتل والحرق والتشريد، وقد وصف عبد الرحيم بن علي البيساني قاضي صلاح الدين، الملقب بالقاضي الفاضل، ولم يكن في الواقع فاضلاً، بل كان من الوصوليين الانتهازيين المنافقين، عبيد كل سلطة، وعملاء كل حكومة، وصف وضع الشيعة بعد العاضد بقوله: (...والمذَلَّة في شيع الضلال شائعة، ومُزِّقوا كل ممزَّق، ورغمت أنوفهم ومنابرهم، وحقت عليهم الكلمة تشريداً وقتلاً)[2].

على أن أفجع الفواجع ما لحق خزانة الكتب، التي (كانت من الضخامة بحيث أنها ضمّت 600 ألف كتاب (مخطوط)، ثم ما لبث أن أُنشئت دار الحكمة القاهرية، وهي لم تكن أرففاً لاحتواء الكتب فقط، ولكنها كانت تضم جيوشاً من المترجمين والعلماء والنسّاخين، وكانت بذلك جامعة متخصصة لإنتاج الكتب)[3]، هذه الكنوز العلمية من نفائس الكتب التي تعب الفاطميون في جمعها، وأنفقوا من الأموال ما أنفقوا في الحفاظ عليها، أصابها من صلاح الدين ما أصاب الفاطميين أنفسهم، ومثلما شهد العصر الفاطمي ازدهار المكتبات القاهرية، شهدت بداية عصر صلاح الدين انهيارها بفعل النهب والحرق واللامبالاة[4].

1- ويحدّد المقريزي في خططه عددهم بعشرة آلاف شريف وشريفة (ج 1 ص 497)، وقال ابن عبد الظاهر أن حبسهم على هذا الشكل استمرّ حتى انقرضت الدولة الأيوبية ومُلكُ الأتراك إلى أن تسلطن الظاهر ركن الدين بيبرس.. البندقداري، فلما كان في سنة 660هـ، أشهد على من بقي منهم بطردهم، بعد أن أصبحوا كما يقول المقريزي (كهولاً مرضى لا أمل منهم ولا بشفائهم).

2- السيد الأمين، المصدر السابق، ص 68.

3- محمد الرميحي، مجلة العربي، العدد 426، أيار 1994م ص 22.

4- المقريزي، ج 2، ص 255، ينقل ذلك عن ابن طي.

يصف الدكتور محمد كامل حسين كيف أُحرق ورقُ كتب هذه المكتبات، وأخذ العبيد والإماء جلودها لعمل ما يلبسونه في أرجلهم، والذي بقى فيها مما لم يحرق، سفت عليه الرياحُ الترابَ، فصارت تلالاً باقية تعرف بتلال الكتب[1]، ثم يقول: (وكذلك ضاعت كنوز الفاطميين بيد التعصب الممقوت)، ويختم كلامه بالقول) :ولكن هذه الموجة الفنية التي طغت على مصر، سرعان ما أبادها الأيوبيون فيما أبادوه من تراث هذا العصر الذهبي في تاريخ مصر الإسلامية، فضاع الشعر ولم يبق منه إلاّ اسم الشاعر أحياناً إن قُدِّر لاسمه البقاء، ونحن لا نتردد في اتهام الأيوبيين بجنايتهم على تاريخ الأدب المصري، لتعمدهم أن يمحوا كل أثر أدبي يمت للفاطميين بصلة، فقد أحرقوا كتبهم بما فيها من دواوين الشعر)[2]، فإذا كان هذا فعلُهم في الشعر، فما بالك بما فعلوا في الفكر؟.!

ويقول ابن أبي طي في وصف ما حلّ بهذه المكتبة الكبرى: (ومن جملة ما باعوا خزانة الكتب، وكانت من عجائب الدنيا)[3]، لأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي بالقاهرة في القصر، ومن عجائبها أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري، ويقال أنها كانت تحتوي على ألفى ألف وستمائة ألف كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة[4] .

ويقول العماد الأصفهاني في ذلك: (وفيها من الخطوط المنسوبة ما اختطفته الأيدي واقتطعه التعدي، وكانت كالميراث مع أمناء الأيتام، يتصرف بها بشرَه الانتهاب والالتهام)[5]، وهكذا شتتوا هذه الكتب وأضاعوها فغدت هباء منثوراً، وأتلفوا هذه الكنوز العلمية التي لم يجتمع مثلها لا قبلها ولا بعدها في مكتبة قط، وهل فعل التتار والمغول في مكتبات بغداد أكثر مما فعله صلاح الدين هذا بخزانة كتب القاهرة ومكتباتها؟.

ورغم أن نور الدين كان ولي نعمته، وهو الذي رشحه للوزارة لدى العاضد بعد وفاة أسد الدين شيركوه، إلاّ أنه لم يسلم من تنكّر صلاح الدين له والتنمر عليه في حياته، والاحتماء منه

1- المصدر السابق.

2- المصدر نفسه.

3- السيد الأمين، المصدر السابق، ص 26- 27.

4- المصدر نفسه، ص 169.

5- المصدر نفسه.

بالصليبيين، ثم القضاء على مملكته وضمها إليه بعد وفاته، لكنّ الأشد انتقاماً من نور الدين ما فعله مع ابنه (الملك الصالح).

لقد كان ابن نور الدين هذا مقيماً في حلب، وكان على صغر سنه محاطاً برعاية الحلبيين باعتباره ملكهم المقبل بعد أبيه، فكان أول ما فعله صلاح الدين بعد استيلائه على الشام، أن قصد إلى حلب للقضاء عليه.

يقول ابن الأثير: (لما ملك صلاح الدين حماة، سار إلى حلب فحصرها ثالث جمادى الآخرة، فقاتله أهلها، وركب الملك الصالح – وهو صبي وعمره اثنتا عشرة سنة – وجمعَ أهل حلب وقال لهم: قد عرفتم إحسانَ أبي إليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم، وأنا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد إحسان والدي إليه، يأخذ بلدي ولا يراقب الله تعالى ولا الخلق ... وبكى وأبكى الناس، فبذلوا له الأموال والأنفس، واتفقوا على القتال دونه والمنع عن بلده)[1]، ولكن صلاح الدين تمكّن منه واعتقله وعاد به إلى دمشق، ولزيادة التشفي بنور الدين وولده، تزوج زوجة نور الدين[2].

ولا تسل بعد ذلك عن المجازر التي أوقعها صلاح الدين بأهل حلب، ولا عن الحرائق التي استهدفت منابر العلم ودور الكتب، ولا عن الإعدامات التي كانت تنتظر العلماء والحكماء، مما ملأ بطون كتب التاريخ، وكان على رأسهم جميعاً، الفيلسوف الإشراقي العظيم، شهاب الدين بن يحيى السهروردي[3] ، الذي قُتل عام 1191م، خنقاً بوتر، وقيل بالسيف، وقيل سوى ذلك، وكان الفيلسوف السهروردي من أكبر علماء عصره[4] (35)، ولا تسل كذلك عن الضرائب الباهظة والمقتطعات التي أثقلت كاهل جميع المسلمين من أهل حلب في تلك الحقبة السوداء.

أ – ظهور الإقطاعيين في جبل عامل

1- كتاب (الروضتين)، ج 2، ص 676.

2- ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج 3، ص 667.

3- ياقوت الحموي في: (معجم الأدباء). (انظر السيد الأمين، المصدر السابق، ص 148-149).

4- وفيات الأعيان، لابن خلكان.

بدأ ظهور الإقطاعيين في جبل عامل في القرن الخامس عشر، وعلى رأسهم ابن بشارة، وقد تولى آل بشارة القسم الجنوبي من جبل عامل حتى مطلع القرن السادس عشر، فعرفت ببلاد بشارة، وقد تأسست هذه الإمارة، على يد الأمير حسام الدين بشارة بن أسد الدين العاملي، وكانت قرية زبقين مركز إمارته، وظلت هذ العائلة مسيطرة حتى عام 1501م، حين تولى المعنيون السلطة في جبل عامل[1].

ب – **جبل عامل والحكم العثماني**

بعد أن دانت بلاد الشام بأكملها للحكم العثماني عام 1516م، أثر معركة مرج دابق وانتصارهم على المماليك، كان نصيب المسلمين الشيعة كبيراً من التنكيل والقهر، فقد نكّل الأتراك بعلماء الدين الشيعة، وشتتوا شملهم، وصادروا مكتباتهم، وجعلوا مؤلفاتهم طعاماً للنار. فكان جبل عامل عرضة للغارات، من كل حدبو صوب، واستعان الأتراك لمحاربة العامليين، بأهل المقاطعات المجاورة من أنصارهم، فأصيب الجبل بالبلاء والمحن، إلاّ أن العامليين صمدوا في وجه كل القوى التي حاولت إلغاءهم وتهميشهم[2].

وبعد الفتح العثماني مباشرة، برزت إلى الوجود السياسي في جبل عامل، أسرتان جديدتان، أخذتا تنافسان الأسرة الوائلية على الزعامة والسياسة، هما:

– آل صعب حكام الشقيف من بلاد بشارة الشمالية، وقاعدتهم النبطية.
– آل منكر حكام إقليمي الشومر والتفاح من بلاد بشارة الشمالية أيضاً، وقاعدتهم جباع.

وعلى الرغم من أن آل علي الصغير كانوا أكثر هذه الأسر نفوذاً وأقواها شكيمة، فقد كان لكل أسرة استقلالها الإداري بالمقاطعة أو المقاطعات التي تحكمها، فالحاكم الإقطاعي حرّ في إدارة مقاطعته، يتصرف بشؤونها ويحمى حدودها، من دون أن يكون هنالك سلطة فوق سلطته. أما سلطة الدولة، فكانت اسمية، وتتلخص في حقها باستيفاء الضرائب والرسوم المقطوعة وفقاً لشروط الالتزام، ومن دون أن يكون لها الحق بالتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد، وحيث لكل حاكم جنده الخاص به للدفاع عن مقاطعته، حتى إذا هوجم واحد منهم هبّت باقي المقاطعات تسانده وتؤازره. وقد

1– مجلة نور الإسلام، السنة السادسة، العدد 71، كانون الثاني 2001م ، ص63.
2– منذر جابر، مرجع سابق.

تمكنت هذه الأسر الثلاث في فترات مختلفة، بفضل قوتها وضعف الحكام الخارجيين، من الاستقلال بمقاطعاتها استقلالاً ذاتياً يكاد يكون تاماً[1].

عمد العثمانيون بعد إستيلائهم على بلاد الشام إلى إعادة تنظيمها، فجعلوها ثلاث ولايات هي دمشق وحلب وطرابلس.

كان جبل عامل حسب هذا التقسيم يتبع كليا لولاية دمشق، لكنه كان مقسّما الى منطقتين: بلاد بشارة وتتبع سنجق صفد، وبلاد شقيف وتتبع سنجق صيدا.

جرى تعديل مهمّ للتقسيم العثماني للبلاد في العام 1660م حين أنشئت ولاية صيدا وأُلحق بها سنجق صفد وأصبح بالتالي جبل عامل تابعا كليا لولاية صيدا الجديدة[2].

1 -العهد المعني

خلال غياب الأمير فخر الدين الثاني بتوسكانة (1613 - 1618) تسلّم أخوه الأمير يونس بلاد عاملة، متخذاً صور مقراً له، كما تسلّم الشيخ حسين اليازجي مقاطعة تبنين، وجعلها مقراً له، "وكانا يقودان الشعب بأجمعه وقت الحاجة ويوجهانه حيث أرادا"، حتى إن العامليين حاربوا الى جانب المعنيين ضد آل سيفا حكام طرابلس، في وقعة الناعمة عام 1616، وبقيادة ابنه الأمير علي المعني، فكانت ميسرة الجيش المعني في هذه الوقعة من العامليين ومن رجال الأمير علي الشهابي حاكم وادي التيم، كذلك حارب العامليون إلى جانب المعنيين، في معركة عنجر الشهيرة عام 1623، ضد مصطفى باشا والي الشام وحلفائه الحرفوشيين حكام البقاع، إذ اشتركوا في هذه المعركة بفرقة قوامها ألف مقاتل، كما حاربوا الى جانب فخر الدين في حملته على عكار عام 1618 - 1619 وكانوا بقيادة ابنه الأمير علي، وفي معركة فارا التي جرت في أثناء حملته على فلسطين عام، 1623م وكانوا بقيادة طويل حسين بلكباشي.

1- ياسين سويد، **"التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين"**، ط 1، ص 58.
2- المرجع نفسه.

إلا أن غياب الأمير فخر الدين عن المسرح السياسي عام 1633، أضعف سلطة خلفائه المعنيين، الذين لم يكن حكمهم في جبل عامل مستمراً ومستقراً تماماً، بل تخلّلته ثورات واضطرابات كثيرة، وهكذا نرى العامليين يخوضون، في فترة الحكم المعني بالذات، معارك عديدة ضد المعنيين أنفسهم وضد الولاة العثمانيين، وأهم هذه المعارك:

– وقعة أنصار (1638): كان العثمانيون قد ولّوا على الإمارة المعنية، بعد أسر فخر الدين وسوقه الى الأستانة عام 1633م، الأمير علي علم الدين زعيم الحزب اليمني، والخصم اللدود لآل معن، بينما فرّ الأمير ملحم بن الأمير يونس المعني، وهو الأمير الوحيد الذي بقي حراً من أسرة آل معن، إلى قرية "عرنا" بسفح جبل الشيخ، حيث لجأ إلى أحد أنصاره، ومن هناك بدأ يتصل بأنصاره من الحزب القيسي، مهيئاً نفسه لمعركة فاصلة مع العثمانيين وحلفائهم اليمنيين، الحكام الجدد للإمارة، فخاض، ضد هؤلاء وأولئك، معركة في أرض "القيراط"، قرب قرية "مجدل معوش" بالشوف عام 1635م كان النصر فيها حليفه، وفرّ الأمير علي علم الدين اليمني على أثر هذه المعركة وتشتّت جيشه، فلجأ الى قرية "أنصار" بجبل عامل مستنجداً بمشايخها من آل منكر، وكانوا يوالونه، ضد الأمير المعني، فلما علم الأمير ملحم بذلك جهّز جيشاً وقصد "أنصار" عام 1638 لمداهمة الأمير علي فيها، ولكن هذا الأخير تمكن من الفرار وأرسل يطلب النجدة من والي الشام، الذي أرسل لمساعدته فرقة من السكمان توجهت لقتال الأمير ملحم، الذي ترك "أنصار" بعد أن هدمها وقتل نحو ألف وخمسمئة من أهلها، لاتهامهم بالانحياز إلى خصومه اليمنيين.

– وقعة عيناتا (1660): ألحق جبل عامل في العام 1660م، بباشوية صيدا عند إنشائها، وقد جرت هذه الواقعة في نفس العام، بين العامليين وبين علي باشا الكبرلي أول وال على صيدا، حاول العامليون استغلال الموقف، فقامت الحرب بينهم وبين الباشا، وكانت الخسائر فادحة والضحايا كثيرة والواقعة عظيمة".

– وقعة النبطية (1666): اغتنم العامليون فرصة الوهن الذي طرأ على الحكومة المعنية في زمن الأمير أحمد فأعلنوا استقلالهم عن جبل لبنان وخرجوا عن طاعة أمرائه، فغزاهم الأمير

أحمد سنة 1077هـ في النبطية (مقر الصعبية)، فارتد عنها منهزماً، بعد ملحمة كبرى، فاستجاش عليها والي صيدا، فأتاها في العام المقبل غازياً، وكان نصيبه كنصيب صاحبه المعني، حيث لحق العامليون المنهزم الى عين المزارب قرب صيدا"،

– وقعة وادي الكفور (1667): ربما كانت امتداداً لوقعة النبطية، الحملة التي أرسلها الوالي، بالتعاون مع المعنيين، قاتلت العامليين "في النبطية ووادي الكفور".

2 – العهد الشهابي

سقطت الإمارة المعنية عام 1697 وخلفتها الإمارة الشهابية حيث تولى الأمير بشير الأول الحكم فيها، وعلى الرغم من تبدّل الحكام في هذه الإمارة، فإن الخط السياسي العام الذي اتبعه زعماء جبل عامل تجاه الحكم الشهابي لم يتبدل عما كان عليه تجاه الحكم المعني، إذ أنه، كما في عهد الأمراء المعنيين الذين خلفوا فخر الدين الثاني، لم يكن للأمراء الشهابيين في جبل عامل حكم ثابت مستقر، وعلى الرغم من أن كلا من هؤلاء الأمراء كان يطمح الى أن يتولى حكم هذا الجبل، بضمان من والي صيدا، فغالباً ما كانت مهمتهم تنحصر في معاونة هؤلاء الولاة في جباية الأموال والضرائب المفروضة على العامليين، إذا تمنعوا عن دفعها، وهكذا نرى بشير الأول، بعد عام واحد من توليه الحكم، أي في العام 1698م، يلبي دعوة أرسلان باشا المطرجي والي صيدا، ويزحف إلى جبل عامل بجيش قوامه 8 آلاف مقاتل، ليخضع أحد زعمائه الشيخ مشرف بن علي الصغير، الذي خرج على الوالي وقتل بعض أعوانه واعتصم في قريته (مزرعة مشرف)، قاتله الأمير وانتصر عليه، وقتل عدداً كبيراً من أنصاره، وقبض عليه وعلى أخيه محمد بن علي الصغير، وساقهما إلى الوالي فسجنهما، وأطلق يد الأمير مقابل ذلك في صفد، ومقاطعات جبل عامل (بلاد بشارة، ومقاطعة الشقيف، وإقليمي الشومر، والتفاح).

تسلّم الأمير حيدر عام 1706م حكم الإمارة الشهابية، فكان أول عمل قام به محاولة السيطرة على جبل عامل، وكان بشير باشا الذي أصبح والياً على صيدا، قد أعاد الشيخ مشرف إلى حكم مقاطعته في بلاد بشارة (وكان أرسلان باشا قد سبق وأطلق سراحه)،

والتمس الأمير حيدر من بشير باشا حكم جبل عامل بعد أن أغراه بالمال، فأقطعه إياه، وفي عام 1707م زحف الأمير حيدر على جبل عامل بجيش قدّره بعض المؤرخين بـ12 ألف مقاتل، وكان آل الصغير قد اعتصموا، مع حلفائهم من آل منكر حكام إقليمي الشومر والتفاح وآل صعب حكام الشقيف، في بلدة النبطية، فهاجمها الأمير حيدر، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بانتصار الأمير،[1] واحتلاله للبلاد، حيث نصّب عليها متسلماً من قبله هو الشيخ محمود أبو هرموش، بينما تشتت آل الصغير وحلفاؤهم تاركين حكم الجبل للأمير الشهابي.

أ-الامير ملحم الشهابي(1732 – 1754)

لم يكن الحال بين الشهابيين والعامليين في عهد الأمير ملحم، أفضل مما كانت عليه مع سلفه من حكام هذه الإمارة، إذ استهل الأمير ملحم حكمه بإظهار طموحه للتوسع نحو مقاطعات جبل عامل، ففي عام 1734 طلب من سليمان باشا العظم والي صيدا أن يقطعه بلاد بشارة، وكان زعماؤها، من آل الصغير، قد خرجوا عن طاعة الوالي وامتنعوا عن أداء الأموال الأميرية إليه، فأقطعه إياها، فقام الأمير ملحم بحملة على هذه البلاد حيث نازل زعماءها في بلدة (يارون) فهزمهم، وفرّ آل الصغير الى القنيطرة.

ويذكر دي لان De Lane قنصل فرنسا بصيدا عام 1734م، هذه الواقعة في رسالة وجهها بتاريخ 20 آب من العام نفسه الى الكونت دي موريباس C. De Maurepasوزير الدولة الفرنسية، فيقول: "ان الصدر الأعظم حانق، بسبب رفض مشايخ المتاولة دفع الضرائب وبعض الأموال المترتبة عليهم له ولحكامه، وقد كلف سليمان باشا (والي صيدا) وأمير الدروز (الأمير ملحم) مهمة حصار قلاعهم وتصفيتهم جميعاً، وهكذا دخل الأمير، عند تلقيه هذا

1 -يزبك، أوراق لبنانية، حزيران ،1956 ص 277.

الأمر، بلاد المتاولة، بجيش مقداره خمسة عشر ألف مقاتل حيث نشر النار والدماء في كل مكان حل فيه"[1].

وفي عام 1743م، خرج المناكرة والصعبية على الوالي سعد الدين باشا العظيم، والي صيدا فأرسل الأمير ملحماً لتأديبهم، ودارت بين الفريقين معركة ضارية في جوار قرية (أنصار)، انتهت بهزيمة العامليين ولجوئهم إلى داخل القرية، حيث أقدم الأمير ملحم على اقتحامها وإحراقها، ثم عاد بعسكره الى دير القمر، بعد أن خسر العامليون في هذه المعركة نحو ألف وستمئة قتيل، كما قبض الأمير على أربعة من مشايخهم.

وفي عام 1750م، اعتدى المناكرة على إقليم جزين، وكان داخلاً في حكم الجنبلاطيين حلفاء الشهابيين، فقتلوا اثنين من أتباع الشيخ بشير جنبلاط حليف الأمير ملحم، فحشد الأخير جيشاً وسار لقتالهم، حيث لقيهم في قرية (جباع الحلاوة) فقاتلهم وقتل منهم نحو ثلاثمئة رجل.

ب –ولاية الأميرين منصور وأحمد الشهابيين

مرت ولاية الأميرين منصور وأحمد الشهابيين (1754 - 1763) ثم ولاية الأمير منصور منفرداً (1763 - 1770)، على الإمارة الشهابية من دون حوادث ذات أهمية بين العامليين والشهابيين، ذلك لأن الأمراء الشهابيين كانوا منشغلين في هذه الفترة بالخصومات والصراعات الداخلية فيما بينهم، مما قيض للعامليين نوعاً من الاستقلال الذاتي والتصرّف الحرّ، إلا أن ذلك لم يمنعهم من التحسّب واليقظة، خصوصاً وقد لقوا خلال انتفاضاتهم المتعددة على الحكم العثماني، وبالتالي على الحكمين المعني والشهابي، من الشدة والقسوة ما جعلهم لا يطمئنون إلا لحكم زعمائهم، وكان عليهم، في الوقت نفسه، أن يزيدوا من قواهم الذاتية من جهة، وأن يبحثوا عن تحالفات عسكرية تتيح لهم الصمود والمنفعة من جهة أخرى، وفي هذه

---

ismail Adel, Document -diplomatiques et consulaires, T, 2 p772

الأثناء، قام في العامليين زعيم وحّد صفوفهم وجمع كلمتهم هو الشيخ ناصيف النصار من آل الصغير الذي وصفه "شيفالييه دي توليس" Chevalier deTaulés قنصل فرنسا بصيدا في رسالة منه إلى "الدوق ديغويون" DucD'Aiguillon بتاريخ 28 حزيران 1772م، بأنه "الشيخ الكبير الذي اشتهر في كل سوريا بشجاعته"[1].

كما قام في ديار عكا وصفد حاكم طموح وقدير ومتحفز هو الشيخ ظاهر بن عمر بن أبي زيدان، المعروف بظاهر العمر، تسلم تلك الديار من والي صيدا بشير باشا في أول عهده بالولاية عام 1706م، وأخذ يرقب، بعين حذرة ويقظة، ما يجري في شمال بلاده وجنوبها. ففي مصر حاكم يحلم بالتوسع شمالاً، نحو بلاد الشام، ويطمح للتعاون مع حاكم قدير في فلسطين يسهل له دخول تلك البلاد، هو علي بك الكبير وقائده محمد بك أبو الذهب، وفي جبل عامل مشايخ عانوا الكثير من الظلم العثماني المتحالف مع أمراء آل معن ومن بعدهم آل شهاب، فأضحوا تواقين للتحالف مع قوة تساندهم وتعزز قوتهم وتشد أزرهم، وهكذا التقى في ساحة فلسطين وعلى امتدادها شمالاً حتى صيدا، ثلاث قوى تكمل بعضها، هي قوة المصريين والصفديين والعامليين، وقد بلغ هذا التحالف أوجه عام 1771م، مما حدا بدراغون Conféderation النائب التجاري للجالية الفرنسية بصيدا، الى تسميته ب"اتحاد كونفدرالي" Conféderation بين مصر والشيخ ظاهر العمر والمتاولة ضد السلطان، وذلك في رسالة بعث بها الى الدوق ديغويون D'Aiguillon وزير الدولة الفرنسية بتاريخ 2 أيار 1771م[2].

إلا أن التحالف بين العامليين والشيخ ظاهر العمر لم يكن سهلاً في بدايته، فقد سبقه صراع مسلح بين شيخ مشايخ العامليين ناصيف النصار والشيخ ظاهر، حيث تقاتلا في معارك عدة أهمها معركة تربيخا عام 1750م، التي هزم فيها ظاهر، وانتهت الحرب بين الفريقين بمعاهدة تحالف

1- المرجع السابق، ص 240.
1- المرجع السابق، ص 169.

ودفاع وقعت بينهما في عكا عام 1767م، "وحلفا اليمين على السيف والمصحف أن يكونا وشعباهما متضامنين متصافيين ما دامت الأرض والسماء"، وكان هذا التحالف قد تم بناء لوساطة بين المتخاصمين قام بها الأمراء الشهابيون وحلفاؤهم المشايخ الجنبلاطيون، وكانوا على علاقة حسنة بالفريقين في ذلك الحين. كما يذكر قنصل فرنسا في صيدا "كليرامبو" Clairambault في رسالة بعث بها الى وزير الدولة الفرنسية "الدوق دي براسلان" DucDeBraslin بتاريخ 23 نيسان 1767م، يقول فيها: "الشيخ ناصيف النصار هو اليوم شيخ مشايخ المتاولة الذين يقيمون من صيدا حتى أرض عكا، وهو يحمي الشيخ عثمان ابن الشيخ ظاهر العمر، الذي لجأ إليه – وكان الشيخ عثمان قد خرج عن طاعة أبيه فلجأ الى الشيخ ناصيف – وبما أن الحرب في هذه البلاد تهدأ ثم تتجدد كل ثلاثة أشهر، فإنها تنتهي بخراب أحوال الفلاحين، وبإعطاء المبرر لمشايخهم لتأجيل دفع الضرائب والمستلزمات المالية للوالي. وقد وصل الى صيدا الأمير إسماعيل (أمير وادي التيم) وثلاثة من مشايخ الدروز هم: الشيخ علي جنبلاط، والشيخ عبد السلام العماد، والشيخ كليب النكدي، وهؤلاء يعاضدون الشيخ ناصيف. فعملوا على إحلال الوفاق بينه وبين الشيخ ظاهر العمر"[1].

ج–اتفاق الشيخ ناصيف النصار وظاهر العمر وولاية الأمير يوسف

وما إن تم الوفاق بين الشيخين ناصيف النصار شيخ مشايخ جبل عامل والشيخ ظاهر العمر حاكم صفد وعكا، حتى انقلب هذا الوفاق الى تحالف وطيد، نظراً للعداوة التي كانا يكنانها كلاهما للعثمانيين والشهابيين، وهكذا، ما إن انتهت ولاية الأمير منصور، وخلفه في الحكم ابن أخيه الأمير يوسف، حتى انتفض العامليون مجدداً ضد حكم الوالي العثماني درويش باشا (والي صيدا) في العام 1771م، فرفضوا دفع الأموال الأميرية وطردوا عمال الوالي من ديارهم، وأظهروا البغضاء للأمير يوسف الشهابي حليف هذا الأخير، فأقدموا على مهاجمة بلدة مرجعيون، وقرى الحولة، وهي في ذلك الوقت من أعمال خاله الأمير اسماعيل، أمير وادي التيم.

1- المرجع نفسه، ص 150.

فجهز الأمير يوسف لقتالهم جيشاً، قدّر بعشرين ألف مقاتل، من مشاة وخيالة، وأرسل الى خاله ليلاقيه، بمن عنده من المقاتلين، ثم نهض من عاصمته دير القمر، باتجاه صيدا حيث عسكر عند جسر الأولي، فبات ليلته هناك، وانطلق في اليوم التالي الى "جباع الحلاوي" حيث تحشد آل نمر، وأنصارهم من آل الصغير، وآل صعب، فلما عرف هؤلاء بضخامة الجيش، الذي جاء به الأمير لقتالهم، تفرقوا ورحلوا عن البلاد، من دون قتال، بينما وصل الأمير الى "جباع" فأحرقها، كما أحرق جميع قرى إقليم التفاح.

كتب الشيخ علي الفارس، إلى الشيخ ناصيف النصّار، شيخ مشايخ جبل عامل، يستنجده للدفاع عن البلاد، وحماية أبناء طائفته. فهبَّ ناصيف للنجدة، وأرسل الرسل لجمع الجنود، وكتب إلى حليفه الشيخ ظاهر العمر الزيداني صاحب فلسطين يطلب منه النجدة.

د–وصول جيش الامير يوسف الشهابي إلى النبطية

كان جيش الأمير يوسف في أربع فرق:

– الفرقة الأولى: وهي في المقدمة، وفيها الأمير.

– الفرقة الثانية: وهي الجناح الأيمن، كانت تسير في طريق (جباع – حومين – حبوش – النبطية).

– الفرقة الثالثة: وهي الجناح الأيسر، كانت تسير في طريق (العرقوب – المئذنة – الجرمق – كفر تبنيت – النبطية).

– الفرقة الرابعة: وهي القلب، كانت تسير في طريق (جرجوع– عربصاليم– النبطية).

وكانت قوى الشيخ علي الفارس، وأخيه الشيخ حيدر الفارس (الذي كان في بدء الخلاف مقيماً في جباع)، فوافى أخاه إلى النبطية، للاشتراك في الدفاع مع جنوده مقسمين إلى فرقتين:

– فرقة الفرسان: وعددها خمسمائة من الأبطال المجربين، كانت تقيم معه في (قلعة شقيف).

-فرقة المشاة: وعددها ألف مقاتل من الشبان المتمرنين على تسديد الرماية من النبطية وضواحيها. وعسكر الشيخان بجيشهما في الضاحية الشرقية الشمالية من البلدة في أرض تسمى (قلادس) التي دعيت بعد المعركة (بعريض القهوة) ولم تزل تعرف بهذا الاسم إلى اليوم، لأن الجيش العاملي شرب فيها قهوة النصر.

ولما وصلت طلائع الجيش المهاجم إلى (جباع) وأحرقتها وقطّعت أشجارها، بعث الشيخ علي الفارس رسولاً آخر إلى الشيخ نصيف النصّار يُخبره بحركة العدو وما فعله من الفظائع، ويستعجل قدومه، وأرسل كشافاً يستطلع طلائع الجيش المهاجم، ويرقبُ حركاته ويقدّر قوته. عاد الكشاف يهول بكثرة المهاجمين ووفرة معداتهم. فانتهره الشيخ، وصاح به: "اسكت قطع الله لسانك"، وأمر بسجنه.

أرسل كشافاً آخر، رجع وهو يهوّن الخطب، ويُزري بالعدو، وبسيره غير المنظّم، وأن قسماً منه غير مسلّح رافق الجيش للسلب والنهب، وأن الفوز سيكون حليفنا حتماً. فأثنى عليه الشيخ وأمر له بخلعة.

هـ-ديوان المشورة وتقرير خطة الدفاع

عقد الشيخ علي الفارس ديوان مشورة من خواصه وكبار رجاله، وخيَّرهم بين التسليم والحرب، بل بين الموت الذليل والحياة العزيزة، بين حرب مجزية أو سلم مخزية وراءها سبي النساء والاستبعاد، وأخيراً دمار البلاد. فاختاروا الحرب والدفاع إلى آخر نسمة من حياتهم، وصلُّوا جميعاً صلاة الموت، ودعوا الله أن ينصرهم ويخذل عدوهم. وبدأ الاستعراض، ودبّ الحماس في النفوس وارتفعت الأصوات، والأغاني العسكرية. ووصلت مقدمة المهاجمين صباحاً إلى النبطية وفيها الأمير يوسف الشهابي فاحتلت الضاحية الغربية من البلدة، ونصّب الأمير سرادقاً كبيراً على البيدر الأعلى قرب الجبانة، واجتمعت فرق الجيش كله في كفررمان واتخذتها مركزاً.

و-انقلاب خطة الدفاع إلى الهجوم

ولما انفرد الأمير الشهابي عن الجيش وسار في المقدمة، أوى إلى سرادقه آمناً مطمئناً كأنه يسير في نزهة، معتزاً بقوة جيشه، (غير حاسب لخصومه حساباً، مما يخالف أبسط القواعد الحربية، ويدل على الغرور، وضعف الرأي).

رأى القائد الصعبي، وهو الباسل المحنك أن الفرصة سانحة. فعوّل على الهجوم بالفرسان بعد أن كانت الخطة دفاعية كما سبقت الإشارة، وخشي بإظهار الحماس من الشبان المشاة فأمر بحجزهم في خان الميري الواقع في جوار بيت آل الفضل في النبطية، وأمر قائدهم الشيخ دندش "ابن أحمد الفارس" أن يُوصد الأبواب ولا يدع أحداً يتحرك إلا بإشارته، لأنه لم يكن على ثقة أن جيشه القليل يفوز على ذلك الجيش الكبير. وعبأ خيالته تعبئة حربية محكّمة، فأحاطت بفرقة الأمير من الجهات الثلاث، الغرب، والشرق، والجنوب، تاركاً جهة الشمال ليسهل الفرار والانسحاب.

بدأت المعركة بإطلاق الرصاص، فذُعر الأمير يوسف، ورأى الخطر المحدق به، فارتبك، وتشوش جنوده، وضيّق المهاجمون الحلقة عليه، فلجأ إلى الفرار. وكانت الأوامر قد أعطيت بعدم قطع الطريق عليه، وعدم مسّه بسوء، ولما سمع الشباب المحصور في خان الميري أزيز الرصاص اشتد حماسهم فنقبوا جدار الخان الشمالي وتعّقبوا العدو، وخاضوا معه المعركة في ساحات ثلاث: (الجزائر) شمالي البلدة، (ووادي بو نعيم) شرقيها، وبين زيتون كفر رمان.

وكان جيش الشيخ ناصيف النصار، المؤلف من ثلاثة آلاف مقاتل قد وصل إلى قرب قرية شوكين، وهناك التقى بكشاف يصيح (علِق الشر، علِق الشر) أي دارت رحى الحرب، فأسرع برجاله سالكاً طريق (زبدين) ودخل البلدة من الجهة الغربية ليداهم مقدمة الجيش المخيّمة غربي البلدة، فرأى الحرب قائمة على قدم وساق، فهجم هجوم المستميت، ولم يلبث العدو أن لوى عنانه، متقهقراً إلى كفر رمان، ولما مالت الشمس إلى المغيب، توقّف الفريقان وأسدل الليل سدوله، فانتشر الجيش العاملي على تلك الروابي، والتلال يوقد نار الحرب، ويهزج بالعتابه والأغاني الحماسية.

وفي صباح اليوم التالي، دارت رحى القتال بشدّة، وكان جيش الامير يوسف، قد فقد حماسته، فانسلّ من حيث أتى، راضياً من الغنيمة بالإياب، وثبتت بعض الفرق قليلاً، بقيادة المشايخ النكديين، وهجم العامليون بالسلاح الأبيض، فانهزم الجيش كله انهزاماً تاماً.

يقول المؤرخ العاملي الشيخ علي رضا: إن الشيخ ناصيف النصّار تعقّب بنفسه الأمير يوسف الشهابي فأدركه في (عقبة جرجوع) فوكز رأسه بالرمح وأنزله عن ظهر بغلته إلى الأرض، وألبسه الفرو مقلوباً، وقال له: عفوت عنك، رأفة بشبابك، واحتراماً لأسرتك، وأنا ابن نصّار. فأجابه الأمير يوسف: "قدها أولاد أم علي"[1].

أما عدد القتلى فقد تجاوز ألف وخمسمائة قتيل[2]، وإن الأمير يوسف لما وصل إلى (كفر رمان) أحرقها وسار إلى (النبطية) فالتقى بطارش عسكر المتاولة بنحو خمسمائة خيال فانكسر عسكر الدروز كسرة عظيمة، ولم يكن في الزمان انكسر مثل تلك الكسرة، ولولا ثبات الشيخ كليب نكد ووصول الأمير اسماعيل الشهابي لأجهز المتاولة على الجيش كله لأنهم كانوا كالغنم بين أيدي الذئاب.

ز–مساعدة الشيخ ظاهر العمر للعاملين

قاد الشيخ ظاهر العمر الهجوم باتجاه الشمال، وكان ذلك طموحاً قديماً لديه، فدخل صيدا فاتحاً حيث مكث فيها مدة، ثم عيّن عليها متسلّماً من قبله هو أحمد آغا الدنكزلي، وغادرها الى فلسطين. وحكم العامليون صيدا في هذه الفترة، وأقاموا فيها يتحرشون بإمارة الأمير يوسف، واستقرت العداوة بين الأمير يوسف وحلفائه العثمانيين من جهة، والشيخ ظاهر وحلفائه العامليين من جهة أخرى، ولم يكن ممكناً أن تسمح السلطنة للشيخ ظاهر وحلفائه بهذا الانتصار، فأرسل عثمان باشا والي دمشق يطلب من الأمير يوسف تجهيز جيش لمقاتلتهم،

1– أي أنكم أهلٌ للعفو، وأولاد أم علي هو لقب كان يطلق على الشيعة وكانوا يفتخرون به.
2– حيدر الشهابي في تاريخه، مجلد أول، صفحة 91.

وكتب الى خليل باشا والي القدس ومعه الجزار أن يرافقه في هذه الحملة، وأمدهما بكل ما يلزمهما من معدات القتال، فتجمع للأمير يوسف نحو عشرين ألف مقاتل ضربوا حصاراً حول صيدا مدة أسبوع كامل كاد الدنكزلي في نهايته أن يسلم المدينة، لولا أن الشيخ ظاهر أوفد سفناً مسكوبية حربية (استأجرها لهذا الغرض)، فأطلقت مدافعها على الجيش المحاصر، مما اضطره الى فك الحصار عن المدينة.

حاول الشيخ ظاهر أن يتحاشى استئناف القتال، فأرسل الى الأمير يوسف يطلب منه أن يرجع بعسكره إلى جسر الأولي شمالي صيدا، إلا أن الأمير أبى ذلك، فزحف الشيخ ظاهر وحلفاؤه المصريون والعامليون تجاه صيدا لاحتلالها، والتقى الجيشان في سهل "الغازية" جنوبي شرقي صيدا (في حزيران 1772)، حيث جرت بينهما معركة انتهت بهزيمة الأمير يوسف وحليفه خليل باشا والي القدس، وطارد الشيخ ظاهر وحلفاؤه فلول جيش الأمير يوسف حتى وصلت حدود الإمارة، بينما فر خليل باشا بمن معه الى دمشق بعد أن خسر نحو خمسمئة رجل، أما خسارة الشيخ ظاهر فكانت نحو ألف رجل. ولم يكتف الشيخ ظاهر بهذه الهزيمة، بل أرسل السفن المسكوبية لحصار مدينة بيروت بحراً – وكانت محمية شهابية – فدمرت بمدافعها بعض أبراج المدينة، ثم نزل عسكر هذه السفن اليها فنهبوها وعادوا الى سفنهم، وظل حصار السفن المسكوبية لبيروت قائماً إلى أن دفع أمراؤها مبلغاً من المال قبضه قائد الأسطول وعاد قافلاً إلى عكا.

استمر التحالف بين العامليين بقيادة الشيخ ناصيف النصار، وبين المصريين بقيادة علي بك، والصفديين بقيادة الشيخ ظاهر العمر، قوياً ومتيناً، حتى عام 1774م، حيث وقع الخلاف بين محمد بك أبو الذهب، الذي خلف علي بك في حكم مصر بعد وفاته، وبين الشيخ ظاهر، فأشهر أبو الذهب الحرب على حليفه الشيخ ظاهر، وهاجم بلاده بستين ألف جندي، مما اضطر الشيخ ظاهر ،إلى الفرار بينما احتل أبو الذهب عكا وصفد وصور وصيدا، إلا أنه لم يستمر في حكم هذه البلاد سوى أيام معدودات، إذ توفي فجأة فانسحبت الجيوش المصرية وعاد الشيخ ظاهر الى عكا، لكنه اغتيل عام 1776م على يد أحد رجاله.

ح–حكم احمد باشا الجزار

تسلّم أحمد باشا الجزار ولاية عكا، فكان أول همه إخضاع جبل عامل لسلطته، زحف إليه بجيش كبير عام 1781م، تصدى له الشيخ ناصيف النصار مع حلفائه من مشايخ جبل عامل، ودارت بين الفريقين معركة ضارية في (يارون)[1]، انتهت بانتصار الجزار ومقتل النصار مع عدد من المقاتلين يتراوح بين 300 و400 فارس، ومقتل عدد من المشايخ العامليين. ويتحدث أرازي Arazy قنصل فرنسا العام في صيدا عن هذه المعركة، في رسالة منه الى الكونت دي فيرجين C. De Vergennesوزير الدولة، بتاريخ 2 تشرين الأول 1781م، فيقول: "إن مقتل الشيخ ناصيف، ونحو 300 أو 400 من فرسانه مع عدد من المشايخ، وضع بضربة واحدة، حداً لهذه الحرب، وذلك بتشتيت باقي المشايخ الذين وقع إثنان منهم في قبضة الباشا"[2].

وبمقتل الشيخ ناصيف خضع جبل عامل لحكم الجزار طيلة ربع قرن حتى وفاته في العام 1804م.

منذ أن تولى أحمد باشا الجزار حكم ولاية عكا (بما فيها جبل عامل وصيدا) لم يعد للشهابيين يد في هذه الولاية، وهكذا، فقد انقضت ولاية الأمير يوسف (عام 1790)، والعقد الأول من ولاية الأمير بشير الثاني حتى وفاة الجزار عام 1804م،، من دون أن يكون لهؤلاء الأمراء في جبل عامل أي تأثير، ولكن العامليين الذين تعودوا التمرد والثورة على كل حكم أجنبي، وأنسوا في حياتهم شيئاً من الحرية والاستقلال الذاتي، لم يستكينوا لحكم الجزار الذي تميّز بالغلظة والقسوة، فحكم البلاد بالحديد والنار، وقضى على قسم كبير من زعمائهم وشرّد القسم الآخر الى عكار وحلب والأناضول، وهاجر العلماء والمثقفون الى البلاد الإسلامية النائية كالهند والعراق وإيران وأفغان خوفاً من بطش الجزار وظلمه، فأصبح تاريخ احتلال الجزار

---

1 -بلدة في قضاء بنت جبيل، على الحدود اللبنانية الفلسطينية.

2 -عادل اسماعيل، المرجع السابق، ص 385.

لجبل عامل نهاية فترة من الحكم الذاتي تمتع به الجبل طويلاً، ولكن البلاد عرفت في عهد الجزار عدداً من الانتفاضات، كتلك التي قام بها الشيخ حمزة بن محمد النصار من آل الصغير، والشيخ علي الزين صاحب شحور، اللذان شكلا فرقة من الثوار أخذت تهاجم المراكز الحكومية العائدة للجزار، فهاجمت تبنين وقتلت الحاكم العام فيها وأصابت بعض أعوانه، إلا أن انتقام الجزار كان شديداً، إذ فاجأ المتمردين في بلدة شحور بفرقة من جنده فقضى على زعيمهم الشيخ حمزة وفر الشيخ علي الى إيران وتشتت شمل المتمردين جميعاً.

يستدل من ذلك أن هذه الانتفاضات في عهد الجزار لم تكن منظمة، ولم يقيض لها زعيم كناصيف النصار يوجهها التوجيه الصحيح، فغالباً ما كانت خالية من أي توجيه ثوري، أو أي غاية سياسية محددة، كما كانت لا تتورع عن إيقاع الضرر بالأهالي، أو برجال الجزار لا فرق، يقول المؤرخ الشيخ علي سبيتي عن هذا الموضوع: "كان دور العصابات والفدائيين أتعس دور مرّ على جبل عامل، وقع فيها، بين نارين، نار زبانية الجزار ونار رجال الثورة، فالزبانية التي كان يقذفها الطاغية تعيث في البلاد فساداً، وتضيق الخناق على الأهلين المساكين وتؤلف منهم فرقاً لمطاردة العصابات فلا تظفر بهم، والثوار يشنّون الغارات للسلب، والنهب، وحرق القرى وتدمير البيوت، متغلغلين في بطون الأودية بين الأحراج والغابات ومعتصمين برؤوس الجبال".

ولكن الكابوس الخانق، الذي كانت شخصية الجزار المعروفة بالبطش والظلم والإرهاب قد فرضته على أهل جبل عامل طيلة حياته، ارتفع بعد مماته.

ط–سليمان باشا والي عكا

وعلى الرغم من أن والياً جديداً عيّن على عكا سليمان باشا، إلا أن حرب العصابات في جبل عامل قد اتسعت وعمّت، وشملت سلطة الثوار عكا وصفد، فصاروا يفرضون الضرائب، والرسوم على البلاد، ويعاقبون المتمردين على أوامرهم، وقد قيض للعامليين، في هذه الفترة، زعيم قوي وقادر وذو نفوذ كأبيه، فارس بن ناصيف النصار، الذي قاد الثورة ضد الوالي

الجديد، الذي كان سلس القياد بعكس سلفه الجزار، فقرر التودد واللين مع ثوار جبل عامل، وذلك أجدى من البطش والإرهاب، فتوسط لديهم الأمير الشهابي بشير الثاني (1790 – 1840)، وكان سياسياً قديراً ومحنكاً، استطاع بدهائه وقدرته السياسية، التوصل مع الثوار العامليين لتوقيع اتفاق ينهي الثورة، وقد وقّع الاتفاق في بيت الدين، كل من جرجس باز معتمد الأمير وحسن الشيت معتمد الشيخ فارس النصار، وتتلخص شروط الاتفاق بما يلي:

1 – العفو العام عن جميع الثائرين.

2 – إعادة إقليم الشومر إلى جبل عامل، علماً بأنه سلخ عنه بعد معركة يارون عام 1781م.

3 – أن لا يكون لموظفي الدولة سلطة على الجبل، وأن يرجع أهله في حل خلافاتهم إلى عميدهم الشيخ فارس النصار، الذي يمثلهم تجاه الحكومة وبه تحصر الاتصالات وعليه تعود المسؤولية[1].

وافق والي عكا سليمان باشا وراغب أفندي معتمد الباب العالي على هذه الاتفاقية، فكانت موافقتهما اعترافاً صريحاً بنوع من الحكم الذاتي لجبل عامل، وهو الأمر الذي حرم منه طيلة حكم الجزار، وقد اتخذ الشيخ فارس بلدة (الزرارية) مقراً له حيث بنى فيها داراً للرئاسة على نفقة الدولة.

وظلت هذه المعاهدة قائمة، حتى ولاية عبد الله باشا الذي خلف سليمان باشا، وفي العام 1821م، عقد عبد الله باشا مع زعماء جبل عامل اتفاقاً جديداً، تضمّن النقاط التالية:

أ – " أعاد حكم البلاد إليهم كما كان في السابق.

---

1 محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص 141.

ب - ضمّ إليهم مقاطعة مرج العيون وكانت تتبع إلى وادي التيم.

ج- ترك خمسين ألف غرش من أموالها الاميرية لهم.

د - ورتب لهم ماية غرارة شعير علائف لخيولهم، على أن يمدوه بألفي مقاتل عند الطلب"[1].

كان العامليون أوفياء للوالي المذكور، فخاضوا معه القتال ضد درويش باشا، والي الشام، في معركتي المزه، وجسر بنات يعقوب، وظل الاتفاق قائماً بين عبد الله باشا والعامليين حتى عام 1832م، عندما احتل ابراهيم باشا بلاد الشام، فدخل جبل عامل في الحكم المصري، الذي ألحق بالإمارة الشهابية، فكان إلحاقه بهذه الإمارة، أحد أهم أسباب اشتراك العامليين بالثورة، التي قامت فيما بعد في بلاد الشام، على المصريين والشهابيين معاً.

ي-مواجهة العامليين للمصرين

ثار العامليون على المصريين وحلفائهم الشهابيين، فكان ذلك أول مرة في تاريخهم يتحالفون فيها مع العثمانيين، الذين طالما حارب العامليون ولاتهم وثاروا عليهم، وولى الأمير بشير ابنه مجيد حكم جبل عامل، فبطش بالعامليين ونكل بهم، وسجن رجالهم وحقر علماءهم، واتخذ سياسة العنف والشدة سبيلاً لمعاملتهم، فثار العامليون ضده وقاده الثورة الشيخ حسين بن شبيب بن علي الفارس من آل صعب وأخوه محمد علي، وقد استمرت الثورة ثلاث سنوات (1836 - 1839) كانوا في خلالها يهاجمون مراكز الحكومة ويطردون عمالها، ولم يتمكن الأمير مجيد الشهابي من إخماد هذه الثورة، فأخذ ينكل بأهالي الثوار وأقربائهم وذويهم، مما اضطر عدداً من وجهاء الجبل وزعمائه إلى التدخل لوضع حد لثورة الصعبيين بشرط الحفاظ على كرامة زعيميها وحياتهما، الا أنهما أبيا ذلك وفضلا مغادرة البلاد الى حوران وضواحي

1- حيدر الشهابي، "**تاريخ الأمير حيدر**"، ج 4، ص 1247.

دمشق، ولكن مرضاً ألمّ بالشيخ حسين فظل في منزله بقرية (ياطر) حيث قبض عليه واقتيد الى المشنقة مع احد أتباعه، أما أخوة محمد علي فقد فر إلى خارج البلاد ولم يعد طيلة حياته.

ولكن لم تكن تلك نهاية الثورة ضد الحكم المصري والشهابي في جبل عامل، فقد حمل لواءها من جديد وفي عام 1840م، واحد من أشهر زعماء آل الصغير بعد ناصيف النصار، هو حمد البك المحمود، الذي أعلن الثورة في وقت كانت الدول الكبرى قد اتفقت فيما بينها على انتزاع بلاد الشام من محمد علي واعادتها الى حكم السلطنة، وتحركت الجيوش العثمانية براً تساندها الأساطيل الإنكليزية بحراً، لتنفيذ هذا الاتفاق، ووصلت طلائع هذه الجيوش إلى حلب، عندها انطلق حمد البك بثورته من جبل عامل، فقاتل الأمير مجيداً الشهابي حليف المصريين عند "جسر القعقاعية" وكان هذا الأمير مكلفاً مهمة إخضاع جبل عامل من قبل أبيه، فهزمه حمد البك وتابع سيره مع فرقته شمالاً حتى وصل بها الى حمص، حيث اتصل بالجيش العثماني المرابط هناك، فانضم إليه واشترك معه في محاربة المصريين، مظهراً من البطولة ما أكسبه ثناء القائد العثماني عزت باشا وإعجابه، فعيّنه حاكماً لجبل عامل ومنحه لقب شيخ مشايخ بلاد بشارة، وعهد إليه بمطاردة الجيش المصري في الجنوب، فعاد حمد البك ليقاتل الجيش المنهزم في رميش ووادي الجش وشفا عمرو حيث طردهم منها، واستولى على صفد وطبريا والناصرة وأجلى المصريين عنها، وما أن استقر الحكم العثماني في جبل عامل من جديد حتى ثبت حمد البك في منصبه كحاكم عام على هذا الجبل، وظل كذلك حتى وفاته عام 1852م، حيث خلفه في الحكم رجل يدعى علي بك الأسعد الذي توفي عام 1865، فكان آخر الحكام الاقطاعيين الذين تولوا حكم جبل عامل في هذه الفترة، إذ حكمت الدولة العثمانية، بعد هذا التاريخ، بلاد عاملة حكماً مباشراً، فانتهت بذلك حياة جبل عامل السياسية، وزال الحكم الإقطاعي المحلي من البلاد.

ومنذ عام 1865م، كان تطبيق نظام الحكم العسكري في بلاد الشام، قد انسحب أيضاً على جبل عامل، فعاش الناس تحت رحمة قانون التجنيد الإجباري الذي فرض على المسلمين من أجل الدفاع عن الأمة، فكان ذلك سبباً متمماً لخراب البلاد وشكل ضربة قاضية لثروتها. وكانت مدة

التجنيد عشرين سنة: ستة منها تدعى عسكرية أو احتياط، وثمانية رديف وستة مستحفظ[1]. وقلما كانوا يتقيدون بهذا القانون، فربما قضى العسكري المجند في الدرجة الأولى مدة تزيد عما نص عليه القانون. وكانت هذه تراوح بين عشر سنين وخمس عشرة سنة، رغماً عنه[2].

وقد وقعت بلاد عامل، في ظل هذا الوضع المزري والفساد المستشري، في خسارة عظيمة، كان ذلك كفيلاً بإضاعة النفوس والأموال.

1- السيد محسن الامين، **خطط جبل عامل**، ص 167.
2- المرجع السابق، ص 168.

ك–جبل عامل في عهد جمال باشا

أما في زمن السفاح جمال باشا (1872م–1921م)، دفع جبل عامل ولبنان عموماً، ضريبة الحرية. فبعيد وصول رئيس المنتدى الأدبي العربي عبدالكريم الخليل إلى صيدا وصور والنبطية موفداً من قبل جمعية الثورة العربية، لإقامة فرع للجمعية في صيدا والنبطية[1]، قبض جمال باشا على رضا الصلح ونجله رياض وعبدالكريم الخليل، بالاضافة إلى جماعة من صيدا وصور والنبطية كان من بينهم محمد جابر آل صفا العاملي، والمشايخ أحمد رضا، وسليمان ضاهر، وعارف الزين، وراشد عسيران، والحاج عبدالله يحيى الخليل، والحاج إسماعيل الخليل. فعلق الشهيد عبد الكريم الخليل مع ثلة من الشهداء على أعواد المشانق في آب 1915م، ونفى بعضهم الى أزمير[2].

3 – الشخصية العاملية: الوجه العسكري

لم تكن القوى المسلحة في جبل عامل، مختلفة عن غيرها من القوى الممثلة في الإمارات، والمقاطعات، في بلاد الشام، والتي كانت تشكل وفقاً لنظام الإقطاع الذي كان سائداً في ذلك الحين، إلا أنه لم يتوفر لدى مؤرخي هذه الفترة من تاريخ جبل عامل، في المجال العسكري، ولأسباب عديدة لا مجال لذكرها هنا، معلومات تجعل الباحثين يحددون، بوضوح وبالتفصيل، تنظيم هذه القوى وعديدها ومستواها، وأن تجمع لديهم معلومات وافرة عن المعارك التي خاضها هذا الجبل في العهدين المعني والشهابي.

ويحدثنا بعض المؤرخين العامليين، أن الأسر الإقطاعية التي كانت تحكم جبل عامل، في عهد الإمارتين كانت تلتزم، مبدئياً، بما يلتزمه رجال الإقطاع، تجاه السلطة المركزية، من "تأمين الطرق، وحفظ الأمن داخل المقاطعة"، وأن يلبي الإقطاعي، "برجاله وفرسان مقاطعته، دعوة والي الايالة، عند وقوع حرب أهلية، أو دولية، ويشترك في أي معركة يوجه إليها"، ولا غرو فقد

1– مصطفى بزي، **جبل عامل في محيطه العربي**، ط 1، بيروت: المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى، مركز الدراسات والتوثيق والنشر، 1993م، ص 40.

2– قصي الحسيني، محاضرة بعنوان: **"إمارة جبل عامل تاريخ متصل بالحركات والثورات"**، بيروت 2006م.

كان الشعب العاملي، "شعباً حربياً باسلاً يهزأ بالمنايا، ويرى الموت حياة خالدة تحت شفار السيوف".

وقد اتقن العامليون بعض فنون الحرب، ومارسوها ممارسة عملية، ومن وصف للمؤرخ محمد جابر آل صفا لآهل جبل عامل: "وانصرف الشعب العاملي كله في ذاك العهد (العهد العثماني)، لممارسة فنون الحرب، وأحكام خطتي الدفاع، والهجوم، وكانوا لا همّ لهم في فترات السلم، إلا شحذ السيوف وتسديد المرمى، والكر على ظهور الخيل يعلمونها أولادهم منذ الصغر" وأما نظام الدفاع عن البلاد "فقد كان على درجة من الرقي تدهش الباحثين". ومن فنون القتال التي اتقنها العامليون: الرمي بالبنادق، وضرب الرماح، وسرعة الالتئام والتعبئة عند إعلان النفير، والكر في الهجوم، واليقظة والحذر في الدفاع، وتحصين القلاع والحصون وشحنها بالسلاح والمقاتلين وإجادة القتال فيها.

وكان لكل مقاطعة من مقاطعات جبل عامل راية خاصة يلتئم المقاتلون حولها، إلا أن الاتحاد بين هذه المقاطعات كان تاماً ومتيناً، خصوصاً في زمن الحرب وأوقات الخطر، فإذا هوجمت إحداها، "هبّت المقاطعات كلها هبّة واحدة، واتحدت كلمتهم على صد المعتدي بقوة السلاح" وكانت راياتهم من نسيج حرير، أخضر وأحمر، وقد طرز عليها، بالنسيج الأبيض، آيات قرآنية وعبارات دينية مثل: "نصرٌ من الله وفتح قريب"، أو "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، أو "لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار"، وكانت راياتهم تتقدم جيوشهم في أثناء القتال.

وكان إطلاق النار، هو الإشارة الرسمية للتعبئة، "فإذا سمعوا طلقاً نارياً في إحدى قراهم، أجابوا بإطلاق الرصاص طلباً للنجدة، وتتبعهم في ذلك القرى المتصلة حتى يمتد الصوت على ما قيل من جباع في سفح لبنان الى البصة على حدود عكا".

أما أسلحة المقاتلين، فكانت في معظمها البنادق، والسيوف، والخناجر، والرماح، وكانوا يقاتلون مشاة، وفرساناً، ويتحصنون في القلاع، مستخدمين النار المحرقة، وبعض أنواع المدافع، والبنادق، وأما عدد المقاتلين في جبل عامل، فقد بلغ في عهد التحالف العاملي، مع الشيخ ظاهر العمر، أي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي، نحو عشرة آلاف مقاتل.

وقد عرف العامليون صنع الذخائر، كالبارود، الذي اشتهرت بصنعه قرية "بيت ليف" العاملية.

وكان جبل عامل، منذ القدم، منطقة حصينة ومنيعة، أنشئت فيها قلاع وحصون عديدة تعهدها العامليون باستمرار، وان لم يكونوا قد بنوها بأنفسهم.

ثانياً: الاحتلال الفرنسي للبنان وردة فعل العامليين

لم يكن الاحتلال الفرنسي للبنان رحمة على العامليين، بل أن الامور كانت أشد سوءاً من العهد العثماني، فقد شهد جبل عامل الفتن والحروب المذهبية، خاصة بين أبنائه المسلمين والمسحيين، لذا، وفي فترة زمنية قصيرة، من عمر الاحتلال الفرنسي، لم تتجاوز العامين، عمّت الفوضى، والاحتجاجات، والفتن في قرى ومدن الجبل، وجهد الاحتلال في تحريض المسيحيين وتسليحهم، وبث روح التفرقة بين الاهالي.

1 – نشوب الحرب وإنتصار الحلفاء

بدأت الحرب العالمية الأولى في العام 1914م، وانقسم العالم إلى معسكريين، دول المحور وتترأسه المانيا وقد انضمت إليه الدولة العثمانية، ومعسكر الحلفاء بقيادة بريطانيا، وفي العام 1918م، دخلت جيوش الحلفاء لبنان، قادمة من فلسطين، بقيادة المارشل هنري اللنبي، وفي طريقها إلى بيروت، عين ضابط فرنسي يدعى "فيجل"، لإدارة حكومة صيدا، وملحقاتها، وعند سماعه بأجتماع الناس بمدينة النبطية، للمطالبة بالانضمام للحكومة العربية، ارسل قوة عسكرية إلى المدينة، فنشرت إعلاناً في الساحات، "بأسم القائد العام للحلفاء، إنكلتر، وفرنسا، والشرفاء، يمنع الاجتماع العام والمظاهرات السياسية، من أي نوع كانت، ومن خالف ذلك، عد مسؤولاً، ومستهدفاً للجزاء"[1].

طالب اغلبية سكان جبل عامل الانضمام إلى الحكومة العربية، ومما شجعهم على ذلك، الاعلان الرسمي عن سلطة الاحتلال الجديدة في العاشر من تشرين الثاني 1918م، "إن الحلفاء قاتلوا لتخليص الشعوب الضعيفة، ومنحها الاستقلال، وان تحكم نفسها بنفسها"[2]، فبدأ الحراك الشعبي في مدينة صيدا، والنبطية، وغيرها...، لكن هذه التحركات، لم تكن تنسجم مع أهداف

1- محمد جابر آل صفا، مرجع سابق، ص 224.

2- المرجع نفسه، ص 225.

الاحتلال الفرنسي[1]، الذي كان يسعى للسيطرة على لبنان، وتطبيقاً لإتفاقية "سايكس بيكو" الموقعة في العام 1916م، مع بريطانيا، التي بموجبها قسّمت المنطقة، بين النفوذ الفرنسي، والبريطاني.

2 – إعلان الانتداب الفرنسي على لبنان وردة فعل العامليين

أ – إعلان الانتداب

وبعد عامين من الاحتلال، ضمّ جبل عامل، وعدد من المناطق الاخرى إلى جبل لبنان، أعلن الاحتلال الفرنسي عن قيام دولة لبنان الكبير، فرفض العديد من اللبنانيين، هذا الاحتلال[2]، وكان من أبرز مظاهره الرد على استفتاء لجنة كينغ – كراين في سنة 1919م، الذي كان المقصود منه تحديد صفة المنتدب وجنسيته، حينذاك كلف الوفد الاسلامي الذي كان يضم مائة عضو إثنين من أعضائه، كي ينقلا موقف سكان جبل عامل من الانتداب، فكانت مواقف الوفد تتضمن طلباً بإستقلال سوريا الناجز، بعهدة الامير فيصل ورفض الانتداب الفرنسي، محاولين عدم تقسيم سوريا، وأن قضيتهم الوطنية في الاستقلال، والوحدة معها، وهذا لم يتحقق بانهزام تركيا، "بل كان عليهم أن يتابعوا النضال ضد الفرنسيين، للوصول إلى أهدافهم كاملة"[3].

- **مؤتمر الحجير**

1– اختلفت نظرة اللبنانين الى القوات الفرنسية، فمنهم من أعتبرها قوات انتداب، وهذا ما كان عليه الخطاب اللبناني الرسمي، أما جبل عامل، الذي لم يكن جغرافيا من دولة لبنان، أو "جبل لبنان" حتى العام 1920م، بل كان تابعاً لولاية دمشق، أيد الحكومة العربية في دمشق، وأعتبر القوات الفرنسية قوات احتلال، تعمل على بث الفتن المذهبية، بين أبنائه لتحكم سيطرتها، تنفيذاً لاتفاقية سايكس بيكو.

2– منذر جابر، محاضرة بعنوان "الكيان السياسي لجبل عامل قبل 1920م"، بيروت 1979.

3– مصطفى بزي، **جبل عامل في محيطه العربي**، مرجع سابق، ص 105.

في هذه الظروف إنعقد مؤتمر وادي الحجير بدعوة من كامل بك الاسعد[1]، لتحديد الخيارات السياسية لجبل عامل، والحالة الامنية، والعلاقات المسيحية الشيعية[2]، حضره علماء، ووجهاء، وثوار جبل عامل (جنوب لبنان)، يوم السبت في 24 نيسان 1920م.

انعقد المؤتمر في منطقة وادي الحجير، في الجنوب، بعيدا عن أعين الاحتلال الفرنسي، بحضور المقاومين، أدهم خنجر، وصادق حمزة، ومحمود بزي، وقد ألقى السيد عبد الحسين شرف الدين، خطبة شهيرة، كانت بمثابة برنامج لعمل المقاومة، وضوابطه، داعيا إلى الوحدة الوطنية، واحترام الطوائف.

ومما جاء في كلام السيد عبد الحسين شرف الدين، والذي اعتبر بمثابة بيان سياسي تاريخي، يدعو لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وحماية السلم الأهلي:

أيها الفرسان المناجيد،"إن لهذا المؤتمر ما بعده، وسيطبق نبؤه الآفاق السورية، ويتجاوب صداه في الأقطار العربية، ويتجاوزها إلى عصبة الأمم، وقد امتدت به إليكم الأعناق، وشخصت الأبصار، فأنظروا ما انتم فاعلون".

يا فتيان الحمية المغاوير، "الدين النصيحة، ألا أدلكم على أمر، إن فعلتموه، انتصرتم، فوّتوا على الدخيل الغاصب برباطة الجأش فرصته، واخمدوا بالصبر الجميل الفتنة، فإنه والله ما استعدى فريقاً، على فريق، إلا ليثير الفتنة الطائفية، ويشعل الحرب الأهلية، حتى إذا صدق زعمه، وتحقق حلمه،...ألا وإنّ النصارى إخوانكم في الله، وفي الوطن، وفي المصير، فأحبوا لهم ما تحبون

1- أحمد رضا، **حوادث جبل عامل 1914-1922**، ط 1، بيروت: دار النهار للنشر، 2009، ص 110.

2- محمد بسام، **"جبل عامل بين سوريا الكبرى ولبنان الكبير 1918-1920**، ط 1، دار الكوكب للتصميم والنشر والطباعة، بيروت: 2011، ص 370.

لأنفسكم، وحافظوا على أرواحهم، وأموالهم، كما تحافظون على أرواحكم، وأموالكم، وبذلك تحبطون المؤامرة، وتخمدون الفتنة، وتطبقون تعاليم دينكم، وسنة نبيكم".

إخواني وأبنائي: إن هذا المؤتمر يرفض الحماية، والوصاية، ويأبى إلا الاستقلال التام الناجز، المعتمر تاج فيصل العرب.

... فاركبوا كل صعب وذلول، صادقي العزائم، متساهمي الوفاء، وما التوفيق إلا بالله، يؤتي النصر من يشاء، ... عليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير[1].

يستنتج من كلام السيد عبد الحسين شرف الدين حرصه على مجموعة من المبادىء الاساسية:

- إن صدى المؤتمر يتجاوز جبل عامل، بل المحيط العربي حتى يصل إلى عصبة الامم.
- خوفه من مؤامرة الفتنة الطائفية، وضرورة الحفاظ على المسحيين في جبل عامل.
- رفض الاحتلال الفرنسي والاصرار على الاستقلال.
- رفض تقسيم الوطن العربي.
- مساندة الملك فيصل.

1- محمد بسام، **المرجع نفسه**، ص 369.

وبنهاية المؤتمر تمّ تفويض السيّد عبد الحسين شرف الدين، والسيّد محسن الأمين، والسيّد عبد الحسين نور الدين، بالبحث في مصير جبل عامل، مع الملك فيصل في الشام[1].

تشكيل العصابات المسلحة في جبل عامل

لم تقتصر مظاهر الرفض في جبل عامل للاحتلال والانتداب الفرنسي على ضوء ما مرَّ، بل تحوَّلت مظاهر الرفض المذكور الى اعمال فعلية، ووزعت عشرات الاعلانات، والمناشير، في كل مكان، وكانت تحض الناس على مقاومة الفرنسيين، وطردهم من ربوع جبل عامل، والدعوة الى رفع الراية العربية، وتحث الاهالي على الامتناع عن دفع الضرائب، ونفذت المقاومة العديد من العمليات العسكرية ضد الاحتلال الفرنسي، كما حصل بالقرب من "مزرعة المصيلح"، وجسر الخردلة، وجبل رياق قرب المطلّة، وكذلك في جديدة مرجعيون، وكانت للمقاومة إتصالات مع الزعماء السوريين ومنهم سلطان باشا الاطرش"[2].

1- أحمد رضا، **مرجع سابق**، ص 110.

2- محمد بسام، مرجع سابق، ص 263.

انفجرت الثورات ضد الفرنسيين في جبل عامل منذ ذلك التاريخ، وتشكلت الفرق لمحاربتهم، فكانت فرقة أدهم خنجر[1]، وفرقة صادق حمزة[2]، وفرقة محمود أحمد بزي[3].

قامت السلطات الفرنسية، بإثارة النعرات الطائفية، والمذهبية، بين أبناء جبل عامل، ووزّعت السلاح على القرى المسيحية، وعملت على زرع بذور الفتنة، وإثارة النعرات الطائفية، فحصلت الاضطرابات، في العديد من القرى، إستطاعت فرنسا أن تحسم الأمر لمصلحتها، خاصة بعد أن استغلت الفتنة الطائفية التي حركتها تلبية لمصالحها، وجردت حملة عسكرية على جبل عامل، واحتلت بلداته وقراه، وبذلك أدخلت المنطقة في دولة لبنان الكبير ، رغماً عن معظم الاهالي الذين كانوا يرغبون في الابقاء على صلتهم بالشام، وان إدخال جبل عامل في الكيان الجديد "كان يعني إنسلاخاً عن واقع عربي إسلامي بواسطة الاحتلال الفرنسي"، هنا برز "التعارض الكبير بين مصالح المناطق

1- ادهم خنجر من بلدة المروانية في قضاء الزهراني، وهو من الحاضرين في مؤتمر وادي الحجير، قاد ادهم حركة المقاومة ضد المستعمر الأجنبي في بلاد الشام، بالتنسيق مع صادق حمزة. وتكبد الاحتلال خسائر جثيمة خلال هذه الفترة، حاول قتل الجنرال هنري غورو، المندوب السامي الفرنسي، في الثاني والعشرين من شهر حزيران/ يونيو لعام 1921 أثناء مروره في القنيطرة، لكنه فشل في ذلك. بعدها التجأ أدهم خنجر إلى سلطان باشا الاطرش، لكنه أُسر فيما بعد على يد الإحتلال الفرنسي، في 7 تموز 1922م، مما أدى إلى انطلاق الثورة السورية الكبرى، وما لبث الفرنسيون أن أعدموه في نهاية العام 1922 في بيروت.

2- صادق حمزة من مواليد دبعال عام 1894، شارك في مؤتمر وادي الحجير، كان على تواصل دائم مع أدهم خنجر، واصل كفاحه ضد المستعمر الفرنسي على رأس حركة المقاومة في بلاد الشام بعد الحرب العالمية الأولى، واستشهد خلال المواجهات مع الفرنسيين في العام 1926.

3- محمود احمد بزي من مدينة بنت جبيل، كان يقود فرقة من المقاومة في وجه الاحتلال الفرنسي، ضمت الفرقة، عبد الامير بيضون، العبد ونعيم ظاهر ايوب، يوسف محمود بزي ونمر حمودي بزي. مصطفى بزي، مرجع سابق، ص 321.

المضمومة وامتيازات الجبل، التي حافظت عليها سلطات الانتداب"[1]، وظهرت ولأول مرة الانقسامات السياسية، والاجتماعية، والدينية، في جبل عامل[2].

وفي 23 آيار / 1926م، أصدرت سلطة الانتداب الفرنسي نظام أساسي (دستور) للبنان، تضمن الاعتراف ولأول مرّة في تاريخ لبنان، بالطائفة الشيعية، ولم يعد الشيعة في لبنان ملاحقين، أو مضطهدين، بسبب إنتمائهم المذهبي[3].

-انتفاضة العام 1936 وما بعدها

وفي سنة 1936م، انتفض ابناء جبل عامل، بسبب رفضهم للاحتلال الفرنسي، مطالبين بتحرير ارضهم، فاعتقل في سرايا بنت جبيل، كل من الحاج علي بيضون، علي بزي (نائب ووزير سابق)، موسى الزين شرارة، وانيس الايراني. هذا التصرف، دفع الناس الى التظاهر امام سجن السرايا، محاولين اخراج المعتقلين، ففوجئوا بطلقات نارية من العدو، ادت الى استشهاد مصطفى العشي (بنت جبيل)، محمد الجمال، وعقيل دعبول (عيناتا). وعلى الاثر تم اقتحام دار الحكومة، واستطاع حسن بسام تحطيم باب السجن والخروج منه...

اعتبرت الصحف اللبنانية آنذاك، أن انتفاضة بنت جبيل، هي انتفاضة وحدوية مع سوريا، وأن الشهداء الذين سقطوا في بنت جبيل، هم شهداء الوحدة السورية[4].

1- مصطفى بزي، مرجع سابق، ص 107.

2- أحمد رضا، مرجع سابق، ص 115.

3- ادمون رباط، "**الوسيط في القانون الدستوري اللبناني**"، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت: 1970، ص 366.

4- صحيفة النهار اللبنانية، السنة الثالثة، العدد 743، بتاريخ 1936م.

وقف علماء جبل عامل وحرّضوا ضد الاحتلال الفرنسي للبنان، والبريطاني لفلسطين، وشجعوا "شيعتهم" على القتال ضد الاحتلال، وشاركوا في الثورات التي اندلعت ضد الاحتلال البريطاني في فلسطين عام 1936، وكان لأهالي القرى الحدودية الملاصقة لفلسطين وخاصة مدينة بنت جبيل دور كبير في مساعدة الثورة الفلسطينية[1]، كما قاوموا الاحتلال الفرنسي، وكان الثوار الفلسطينيون يتلقون المعونة المادية، والدعم من أهالي جبل عامل... حتى أن عدد من العامليين استشهدوا وهم يقاتلون إلى جانب إخوانهم في فلسطين... وشكل جبل عامل بين عامي 1947 – 1948، أحد أهم الجبهات للجيوش العربية، وتحديداً فرق الانقاذ السورية، والمتطوعين العرب واللبنانيين. ونرى السيد محسن الأمين يعلن الجهاد المقدس في فلسطين، ويوجه النداء إلى العرب والمسلمين من أجل الدفاع المستميت؛ كما استصرخ السيد عبد الحسين شرف الدين الأمة بنداء آخر، دعا المسلمين فيه إلى "أن يكونوا في فلسطين مكان سيد الشهداء الامام الحسين (ع) من قضيته... وإلى أن موعدنا فلسطين عليها نحيا وفيها نموت..."[2].

إنّ، تاريخ جبل عامل مشرق في مقاومة المحتلين، وحاضر دائماً للدفاع عن حقوقه وأرضه، وقد برز منه علماء مجاهدون، ورجال أشداء، عُرفوا بالشجاعة والبسالة، امثال الشيخ ناصيف النصار، وحمد بك المحمود، وأدهم خنجر، وصادق حمزة، والسيد عبد الحسين شرف الدين، والسيد موس الصدر، والسيد حسن نصر الله... والعديد منهم إستشهدوا في سبيل قضاياه المحقة، ورفعوا راية المقاومة، وتبنوا القضايا الاسلامية والعربية، دافعين الاثمان الباهظة في طريق الحق، ومواجهة المعتدين.

ثالثاً:الجنوب في عهد الاستقلال

1- مصطفى بزي، بنت جبيل حاضرة جبل عامل، مرجع سابق، ص 503.

2- طلال عتريسي،"**علاقة الشيعة بالكيان اللبناني بين الماضي والحاضر**"، جريدة النهار اللبنانية، في: 2010/8/25.

1 – معركة الاستقلال

بدأت الحرب العالمية الثانية في العام 1939م، ولبنان لايزال تحت الانتداب الفرنسي، حصل صراع بين حكومة فيشي في فرنسا، وبين الفرنسيين الأحرار، بقيادة الجنرال ديغول، انتهت بهزيمة ساحقة للفيشيين، فأعلن في حزيران 1941م، الجنرال كاترو باسم فرنسا الحرة، نهاية الانتداب، والاعتراف العلني باستقلال سوريا ولبنان[1].

وكان الجنوب يعيش عبء القهر والإرهاب، الذي مارسه الفيشيون، وأثّر الوضع الاقتصادي المتردي على الوضع الاجتماعي في المنطقة، ولم يخفف من الأزمة الاقتصادية، إلا العلاقة الجيدة بين سكان جنوب لبنان وفلسطين، وعبّر الاهالي عن سخطهم من الأوضاع المعيشية، واستنكروا احتكار التجار للبضائع والمواد الغذائية، وكتبت المناشير بخط اليد ووزعت في الليل[2].

عمّت الفوضى العديد من قرى الجنوب، مما أدى بالجنرال كاترو إلى إصدار بيان، طالب فيه الاهالي تسليم الأسلحة، والذخائر الموجودة بين أيديهم، وإحالة كل شخص وجدت لديه أسلحة، او ذخائر ممنوعة بعد 20\9\1941م، إلى المحكمة العسكرية[3].

كما وجه محافظ الجنوب كتاباً لقائمقام صور، أعلن بموجبه، "أن كل شخص يحمل سلاحاً، أو معدّات ممنوعة، يحال الى المحاكم العسكرية، وان كل قرية يعثر فيها على سلاح تفرض عليها غرامة[4]."

1- مسعود ضاهر، **"ميثاق لبنان الواحد لعام 1943"**محاضرة، منشورات الجامعة اللبنانية، ص 103.

2- مصطفى بزي، **مرجع سابق**، ص 384.

3- حسن دياب، **تاريخ صور الاجتماعي 1920-1943**، دار الفارابي، بيروت سنة 1988، ص 164.

1- محافظ الجنوب،"**كتاب موجه لقائمقام صور**"، عدد 5173 صادر في 6 تشرين الثاني 1941.

في هذه الأثناء تداعى زعماء الجنوب، للاجتماع في 9 تشرين الثاني 1941م، في النادي الجعفري في صور، حضر الاجتماع وفود من صيدا، والنبطية، وعدد من القرى، إضافة الى السيد عبد الحسين شرف الدين، وفي نهاية الاجتماع، تم انتخاب لجنة من أربعة عشر عضواً[1]، على أن يكون أحمد بك الأسعد رئيساً[2].

وفي 26 تشرين الثاني عام 1941م، أعلن كاترو بيانه الشهير" لقد جمعتّكم فرنسا أحراراً مستقلين، وأصبحت امانيكم في حيز التنفيذ"[3].

كانت معركة الاستقلال، لتأكيد عروبة لبنان الموحد، في وجه التجزئة الاستعمارية السابقة، التي استمرت منذ نظام القائمقاميتين، لتعبر عن آمال الأغلبية من اللبنانيين، الذين كان همهم الأساسي التخلص من الانتداب.

وفي 8 تشرين الثاني 1943م، عقد المجلس النيابي جلسة، وعدّل الدستور بإنهاء الانتداب، فنشبت الأزمة بين الحكومة اللبنانية، والاحتلال الفرنسي، وأقدمت سلطة الانتداب، على اعتقال رئيس الجمهورية بشارة الخوري، ورئيس الوزراء رياض الصلح، فعمّ الاضراب معظم القرى اللبنانية[4].

2- كان الهدف من إنشاء اللجنة، التصدي لما آلت اليه الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والامنية، والتنسيق مع السلطات المختصة، على ان يتحدث احمد بك الاسعد بأسم الجنوب.

3- قائمقام صور عدد 279، صادر في 10 تشرين الثاني 1941م.

4- مسعود ضاهر، **"لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة"**، ط 1، معهد الانماء العربي، بيروت 1977، ص 123-124.

1- بيان نويهض، **"الانظمة السياسية والدستورية في لبنان والدول العربية"**، ط 1، مطبوعات الجامعة اللبنانية، بيروت: 1991، ص 133.

كانت ردة الفعل في جبل عامل قويّة على اعتقال زعماء البلاد، وعند إعلان الاستقلال، حدثت المظاهرات الصاخبة في مدنه وقراه، تأييداً للمعتقلين، ومطالبين بالافراج عنهم[1].

-الميثاق الوطني عام 1943م.

كان الهدف الأول من هذا الميثاق التاريخي، ضم جميع فئات الشعب في كيان موحد، وتحت مظلة واحدة، بعد أن كان معظم المسلمين، يتوجهون نحو الأرتباط مع سوريا، وكان معظم المسحيين، يتطلعون نحو الحماية الفرنسية، كحاضنة لوجودهم في لبنان... وطبعاً هذا يهدد الكيان اللبناني.

في هذه الظروف أقتبس الميثاق، من خطاب الرئيس بشارة الخوري، يوم إنتخابه، ومن البيان الوزاري لحكومة رياض الصلح، وجاء فيه:

- "لبنان جمهورية مستقلة ذات سيادة، يرفض الحماية الأجنبية، ويرفض التدخل الأجنبي في شؤونه"

-"لبنان ذو وجه عربي، ولغة عربية وهو جزء من العالم العربي"[2].

لقد بنى الرئيسان، الخوري والصلح الهوية اللبنانية على نفيين (لا... لا)، لا حماية خارجية ولا تدخل خارجي، والهوية عادةً تبنى على إيجاب.

إذاً كانت هناك تسوية في العام 1943م، وترتيب أوضاع بين بشارة الخوري ورياض الصلح، وبالتأكيد حصل ذلك برضى المحتل الفرنسي، وحتى الآن لا يستطيع أحد ان يدعي

2- مصطفى بزي، **مرجع سابق**، ص 394.

3- يوسف قزما خوري، "**البيانات الوزارية اللبنانية ومناقشاتها في مجلس النواب (1926-1986)**"، ط 1، مؤسسة الدراسات اللبنانية، بيروت: 1986، المجلد 1، ص 127.

استقلال لبنان عن التدخلات الخارجية، "في بلد لازال مختلفا حتى الساعة على انتمائه وتحديد قضيته".

لذا، "عندما نشير إلى الاستقلال نرى أنّ شعبنا ما زال معرضاً لتهميش تاريخي"[1]، حيث لا زلنا حتى هذه الساعة لا نثير قضايانا المحقة التاريخية، والاضطهاد الذي تعرض له أبناء شعبنا في منطقة الجنوب، من العهد العثمانيين حتى الاسقلال.

أعلن استقلال لبنان عن فرنسا في 22\11\ 1943م، وتم الاعتراف به في 1\1\1944م، وانسحبت القوات الفرنسية في العام 1946م[2]، تميز تاريخ لبنان منذ الاستقلال بتقلبات سياسية متكررة.

إنّ إستقلال لبنان وقيام الدولة، لا يعني بأن الجنوب لم يعد منسياً، أو أوزيل الحرمان عنه، بل زاد الوضع صعوبةً، ولم تقم الدولة بواجبها تجاه المواطنيين، ولم تلبى حاجتهم، بل بقيا اهتمام الدولة بالجنوب قاصراً، فيما يتعلق بالبنى التحتية، من مدارس وطرقات ومياه ومستشفيات وغيرها...

إن تطور العلاقة بين وطنيي الجنوب، والكتلة الدستورية، أدى لقيام رياض الصلح بزيارة الجنوب مرّات عديدة.

لكن ما هي المكاسب التي حصل عليها جبل عامل، من رياض الصلح، والكتلة الدستورية والعهد الاستقلالي عموماً؟

1- رفيق نصر الله، محاضرة بعنوان: "**إستقلال لبنان**"، بيروت: في 22\11\2009م.

2- صحيفة الانتقاد اللبنانية، السنة السادسة، العدد 211، في 22\11\2009م.

إنّ ما كان يرجوه أبناء الجنوب من وراء الالتحاق بالكتلة الدستورية، أو تأييدها، هو الخلاص من الأوضاع المتردية التي كانوا يعيشونها، كما كانوا يتطلعون إلى مكاسب اجتماعية وسياسية واقتصادية، كان اعتقادهم أنّ هذه الكتلة ترتدي لوناً عربياً معيناً ومعروفاً، وتعالج القضايا المطروحة بانفتاح لبنان على محيطه العربي، إلا أنّ آمال العامليين ذهبت أدراج الرياح، "فقد كانت غاية رجالات الاستقلال الوصول إلى تبوّؤ المراكز فقط، والوصول إلى الغايات الشخصية والمآرب الفردية ليس إلا"[1].

رابعاً: نكبة فلسطين وإتفاقية الهدنة

بعد نكبة فلسطين في العام 1948م[2]، أضحى الجنوب عرضة للأطماع "الإسرائيلية" ولاعتداءاته المتكررة على القرى الآمنة، فقد دخلت العصابات الصهيونية قرية صلحة (وهي إحدى القرى السبع بحسب التعداد الرسمي للقرى اللبنانية المحتلة، الواقعة على السفح الجنوبي لمرتفع مارون الراس)، وكان فيها 120 شخصاً صمدوا فيها، أوقفتهم قوات الاحتلال مساء 21/ 1948/10م، في ساحة المسجد صفا عند جداره الغربي وأردتهم قتلى، وسُمّيت تلك المجزرة بمجزرة «الصف». ثم دخل الصهاينة في 31\10\1948م، قرية «حُولا» اللبنانية وقتلوا أيضاً سبعين شخصاً من أهالي القرية[3].

1- المرجع نفسه، ص 398.

2- عن مجلة نور الإسلام، العددان 71 - 72، السنة 6، كانون الثاني وشباط 2001، ص 51 - 66.

1-جريدة النهار اللبنانية، في 1\11\1948.

وفي العام نفسه اقتطع الصهاينة 125 ألف دونم من أرض ميس الجبل، وحوالي 2300 دونم من أرض يارين[1].

إذا، منذ احتلال فلسطين، حكمت العلاقات بين لبنان و"إسرائيل" اتفاقية الهدنة، الموقعة في 23 آذار 1949م. وقد تضمّنت تلك الاتفاقية البنود الاتية:

- عدم اللجوء إلى القوة العسكرية لتسوية القضية الفلسطين.

- امتناع الطرفين عن القيام بأي عمل عدائي ضد شعب أو قوات الجانب الآخر، أو التحضير لمثل هذا العمل، أو القيام به.

- تحدد الاتفاقية القوات العسكرية، لكل طرف مقابل الطرف الآخر، بـ 1500 عسكري، وبعض الآليات.

- كما نصت على عدم خرق الحدود البرية والبحرية والجوية.

- يتعهد الطرفان بعدم قيام أي عمل معاد للطرف الآخر من أرضه[2].

وقد توالى شريط الاعتداءات الإسرائيلية على القرى الآمنة، ولم يكترث العدو لإتفاقية الهدنه، الموقعة في العام 1949م، ففي العام 1956م، دخل الجيش الإسرائيلي إلى قرية الظهيرة، وقتل عائلة بكاملها بعد نسف منزلها.

2- علماً بأنّ الاحتلال البريطاني، وأثناء ترسيم الحدود في العام 1920م، اقتطع عدداً من القرى، والمزارع، وقد أصبحت لاحقاً، جزءاً من الكيان الصهيوني، من تلك القرى: طربيخا، وصلحة، وقدس، والنبي يوشع، وهونين، والمالكية والمنصورة وغيرها.

3- ملف وثائق فلسطين من العام (637-1949)، وزارة الارشاد القومي، ج 1، ص 1033-1037.

أ – بروز شخصيات سياسية وعودة السيد موسى الصدر إلى لبنان

إن دور رجال الدين في جبل عامل كان كبيراً، لكنه بدأ بالتراجع مع الاستقلال، وبروز عائلات وشخصيات جديدة، عُرف منها رجال، كان لهم الدور الفاعل في الحياة السياسية، ولم يعد ذلك حكراً على آل الاسعد، العائلة الاكثر نفوذاً، ومكانةً وأحتراماً في نفوس الناس، إذ انضمت عائلات جديد، إلى المسرح السياسي، في جبل عامل شاركت بيت الاسعد في السلطة، وحلّت مكان العلماء نسبياً.

ومن هذه العائلات آل عسيران في صيدا، وآل الزين في كفر رمان وجبشيت، وآل الخليل في صور، وآل بزي وبيضون في بنت جبيل، وآل غطيمي وفواز في تبنين[1]، وفي أواخر العام 1959م، عاد إلى مدينة صور السيد موسى الصدر بطلب ورغبة من السيد عبد الحسين شرف الدين، ومباركة المرجع الاكبر السيد البروجردي، تاركاً مدينة قم المقدسة في إيران، ليبدأ العمل فيها كعالم دين، خلفاً للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس)، وفي فترة قصيرة، أصبح من أبرز الشخصيات اللبنانية، فؤنشىء المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى، وأنتخب رئيساً له.

خامساً: الأجواء السياسية في لبنان من اتفاق القاهرة حتى اجتياح العام 1978

1 – اعتداءات اسرائيل وتفاقم الوضع السياسي

في 26 كانون الأول من العام 1968م، نفذت مجموعة فدائية تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، هجوماً على طائرة ركاب تابعة لشركة العال الاسرائيلية في مطار اثينا[2]، ادّعت إسرائيل

1- تمارا الشلبي، "**شيعة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانية 1918-1943**"، ط 1، دار النهار للنشر، بيروت: 2010، ص 77-78-79.

2- جريدة النهار اللبنانية، في 27\12\1968.

أنهم انطلقوا من لبنان، فكان الرد بعدوان همجي للجيش الاسرائيلي على مطار بيروت، وتفجير 13 طائرة ركاب مدنية تابعة لشركة طيران الشرق الأوسط (MEA)[1]. وفي 30 كانون الأول، قدمت حكومة لبنان برئاسة عبد الله اليافي، شكوى ضدّ اسرائيل لدى مجلس الأمن[2]، هذه العملية الوحشية الاسرائيلية استدعت استنكارات وتنديدات من أنحاء العالم كافة. أما في لبنان، فوصف كمال جنبلاط العملية بـ«فضيحة الفضائح» وحمّل الرئيس شارل حلو مسؤولية ما جرى، لأنه لم يعزز قدرات البلاد الدفاعية، معتبراً أن هدف اسرائيل من عمليتها، كان دفع القوى المعترضة على وجود المقاومة الفلسطينية في لبنان، نحو الصراع معها، وبالتالي اشعال النزاع بين اللبنانيين انفسهم[3]. وفي 31 كانون الأول 1968 صرّح الوزير ريمون اده، بأنه «نبّه الى الحادث فلم تتخذ التدابير اللازمة لمقاومته كما طالب الرئيس صائب سلام «بمحاسبة المسؤولين ومعاقبتهم»[4]، هذه المواقف تظهر التباين الحاصل بين اللبنانيين، والخلاف بين مكونات الحكومة اللبنانية.

نتيجة لهذه البلبلة، أعلن طلاب الجامعات في لبنان في 3\1\1969م، اضراباً عاماً، احتجاجاً على العملية، وطالبوا خلاله «بمعاقبة المقصرين علناً»[5]. اتسع الاضراب شيئاً فشيئاً حتى شمل صور، وصيدا، ومدناً أخرى، وأصدر وزير الداخلية ريمون اده يوم 5 كانون الثاني، بياناً «منتقداً بيان وزير الدفاع الوطني حسين العويني»، الذي ردّ بدوره على تصريح الوزير اده، معتبراً إياه تجريحاً له. متصلاً برئيسي الجمهورية، والحكومة، مبلغهما أنه «لا يستطيع البقاء في الحكم ويعتبر نفسه

1- المرجع نفسه، في 29\12\1968.

2- المرجع نفسه، في 31\12\1968.

3- اجتمع مجلس الوزراء في القصر الجمهوري، وبحضور قائد الجيش في 31\12\1968، واتخذ فيه قرار بالرد على كل اعتداء إسرائيلي تتعرض له البلاد، وتكليف السلطة العسكرية تنفيذه. جريدة النهار، في 2\1\1969.

4- المرجع نفسه، في 2\1\1969.

1- صحيفة السفير اللبنانية، في 4\1\1969.

مستقيلاً...»[1]. ثم اعلن رئيس الحكومة عبد الله اليافي تضامنه مع العويني، وقدّم استقالته الى الرئيس حلو، الذي قبلها وكلّف في 8\1\1969، رشيد كرامي تشكيل الحكومة الجديدة[2].

شكل الرئيس رشيد كرامي حكومته من 16 وزيراً، كانوا من اعضاء المجلس النيابي، وفور اعلان التشكيلة، سارع الوزيران بيار الجميل، وريمون اده، الى تقديم استقالتيهما، وبعد ايام قليلة تبعهما الوزيران حسين منصور، ونصري المعلوف. عندها عُدلت الحكومة، فعيّن 4 وزراء جدد، لتتحول الحكومة الجديدة، الى حكومة ذات لون واحد، تتبنى العلاقات الوثيقة بالمقاومة الفلسطنية، والعالم العربي.

عاد العامل الفلسطيني، يلقي بظلاله على الوضع الداخلي اللبناني، وفي اجواء متوترة نتيجة الصراع بين الجيش اللبناني والفلسطينيين، نظّمت احزاب وقوى وطنية مؤيدة للثورة الفلسطينية"، تظاهرة مسلحة ضخمة، في 23 نيسان 1969[3]، حدث خلالها صدامات، بين المتظاهرين والقوى الأمنية، أدى الى سقوط عشرات القتلى والجرحى، فارتفعت أصوات التنديد والاستنكار في لبنان، ولدى العديد من الحكومات العربية، التي سارعت للتضامن مع الفلسطينيين، محملة الدولة اللبنانية مسؤولية ما جرى. قدم الرئيس رشيد كرامي استقالته أمام مجلس النواب، خلال جلسة صاخبة في 1969/4/25[4]. كانت الاستقالة منطلقاً لأزمة سياسية، طالت لمدة سبعة اشهر، عاش فيها لبنان دون حكومة، رغم إعادة تكليف كرامي، الذي عاد واعتذر.

اتفاقية القاهرة عام 1969م

2- المرجع نفسه، في 6\1\1969.

3- جريدة النهار اللبنانية، في 9\1\1969.

4- جريدة النهار اللبنانية، في 24\4\1969.

1- المرجع السابق، في 26\4\1969.

في 3 تشرين الثاني 1969، تم توقيع اتفاقية القاهرة، برعاية الرئيس جمال عبد الناصر، بين الحكومة اللبنانية، الممثلة بقائد الجيش اميل البستاني، ومنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلة برئيسها ياسر عرفات[1].

أعتبر البعض أتفاق القاهرة متعارضا مع مبادئ سيادة الدولة اللبنانية، ويتضمن بنوداً تتعارض وأحكام القوانين اللبنانية، ولم يكن لهذه الاتفاقية، دور ملموس في تحسين العلاقات بين القيادتين اللبنانية والفلسطينية، ومن جانب آخر اعتبرت إسرائيل، اتفاق القاهرة، خرقا للهدنة، المعقودة بينها وبين لبنان في العام 1949م.

أما هدف الاتفاق، فكان إعادة تنظيم الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان. **ومن أبرز بنوده، ما يلي:**

– تشكيل لجان للفلسطينيين، وإنشاء نقاط للكفاح المسلح، داخل المخيمات الفلسطينية، ووجود ممثلين في الأركان اللبنانية.

– تسهيل المرور، والطبابة، والإخلاء، والتموين للفدائيين.

– تأمين الطريق إلى العرقوب، والسماح للفلسطينيين المقيمين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية[2].

ومن نتائج الاتفاق، إعطاء الشرعية للفلسطينيين في لبنان، والاعتراف بالوجود السياسي والعسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية، وتم التأكيد على حرية العمل الفدائي، انطلاقاً من الاراضي اللبنانية، وحمى الفلسطينيين، من المحاولات المتعددة لنزع سلاحهم.

2- صحيفة السفير، في 4\11\1969.

1- المرجع نفسه، في 4\11\1969.

لكن الوجود الفلسطيني المسلح، بات اشكالية على المسرح السياسي اللبناني، وتعقدت، وتطورت، وتشعبت، وأدت الخلافات، الى نشوب مشاكل سياسية وحكومية وإقتصادية واجتماعية وأمنية، كان لها ترداداتها على الجسم الحكومي.

وفي تموز 1973 كلف الرئيس تقي الدين الصلح، تشكيل الحكومة اللبنان، ومنذ انطلاقة قطار التأليف، برزت عقبة تعيين الزعيم كمال جنبلاط كوزير للداخلية، الذي كان يلقى معارضة من الاحزاب اليمينية، ومن أبرز المعارضين بيار الجميل رئيس حزب الكتائب، وكميل شمعون رئيس حزب الاحرار، فكان الحل بتسليم حقيبة الداخلية لحليفه في جبهة النضال الوطني بهيج تقي الدين.

2 – تداعيات حرب تشرين 1973

كان قدر حكومة الصلح، أن تعيش ترددات حرب تشرين 1973، التي خاضتها مصر وسوريا من جهة، والعدو الإسرائيلي من جهة أخرى[1]، وعلى الرغم من حياد لبنان في هذه الحرب، إلا أنه لم ينج من تداعياتها على وضعه الداخلي، خصوصاً في ظل الانقسام الداخلي، والعربي حيال الخطة الأميركية، لتسوية مشكلة الشرق الأوسط، وتصاعدت قوة التيار اليساري العروبي الداعي لتكريس لاء ات عبد الناصر التي اطلقها في الخرطوم: لا صلح، لا تفاوض، لا اعتراف "بإسرائيل".

بدأت النار في لبنان تشتعل بهدوء، تحت رماد الصراعات العربية والتدخلات الاجنبة، وانقسم المجتمع اللبناني بين تيار يساري ـ عروبي يدعو لتأييد الكفاح المسلح، ونصرة الثورة الفلسطينية، وتيار يميني مسيحي الطابع، يعيش حالة من الانعزال والقلق والخوف من تزايد النفوذ الفلسطيني المسلح وخسارة امتيازات سياسية، اكتسبها منذ الاحتلال الفرنسي للبنان، واعلان أول دستور في العام

2- علي عبد فتوني، "**المراحل التاريخية للصراع العربي– الاسرائيلي**"، ط 1، دار الفاربي، بيروت: 1999، ص 149.

1926، بدأ المسيحيون بالاستعدادات العسكرية، والتدريب، والتسلح، بدعم من إسرائيل، وانظمة عربية رجعية، متأمرة على القضية الفلسطينية، وما زاد في تدهور الاوضاع، سوء الوضع الاقتصادي، وارتفاع الأسعار، وتفشي الغلاء، وزيادة التناقضات، والمشكلات الاجتماعية، التي ترافقت مع اضرابات، وتظاهرات، عمت المناطق في لبنان، شارك فيها العمّال، والطلاّب، مطالبين بإصلاحات سياسية، واقتصادية، برزت فيها «حركة المحرومين» التي أسسها الإمام السيد موسى الصدر في العام 1974، للدفاع عن المحرومين والمستضعفين في لبنان، ولتشكيل مقاومة صادقة ضد الاحتلال الاسرائيلي، تساعد الشعب الفلسطيني على استعادة حقوقه[1].

في هذا الجو المشحون والضاغط، والأوضاع الاقتصادية المتردية، وبعد تظاهرة ضخمة للاتحاد العمالي العام، مطالبة بتصحيح الأجور، دفع بالرئيس تقي الدين الصلح الى تقديم استقالة حكومته.

3 – حكومة رشيد الصلح تستقبل الحرب الأهلية

في يوم الأحد 13 نيسان 1975، كانت حادثة "البوسطة" في عين الرمانة، عندما اطلقت النار مجموعة من حزب الكتائب، على شباب فلسطينيين، داخل حافلة الركاب، فقتل 27 شخص، ومنها تدحرجت كرة الموت، والقتل، لتشمل لبنان كله لسنوات طويلة[2]. كانت الحكومة اللبنانية، آنذاك، برئاسة رشيد الصلح، عندما استعرت الحرب، وانتشرت حواجز الخطف، والقتل على الهوية، وتنقلت الاشتباكات بين المناطق، فارتفعت الأصوات مطالبة باستقالة الحكومة، والمجيء بحكومة فاعلة، تنقذ البلاد من هذه المؤامرة الكبيرة. وفي أيار 1975 تقدّم عدد من الوزراء بإسقالتهم، لكن الرئيس الصلح رفض الاستقالة، وأصرّ المثول أمام المجلس النيابي، حيث القى خطاباً حمّل فيه حزب

1- يعقوب ضاهر، **"يوميات ووثائق 1-1975، مسيرة الامام السيد موسى الصدر"**، المجلد 5، ج 1، ط 1، دار بلال، بيروت 2000، ص 134-135.

2- صحيفة السفير، في 14\4\1969.

الكتائب مسؤولية «مجزرة عين الرمانة»، وما سبقها من احتقان وشحن النفوس، أما الشيخ بيار الجميل فقد اعتبر «أن رئيس الحكومة يعمل على خلق فتنة في البلاد».

أما جنوباً، فقد أوعزت "إسرائيل" لعملائها في العام 1976م، بقيادة سعد حداد، بالسيطرة على منطقة الشريط الحدودي، بدعم مباشر من جيش العدو الاسرائيلي، فاستبيحت القرى، وأعمل العملاء فيها القتل، والنهب والتهجير، وفق خطة "إسرائيلية"، لإفراغ الجنوب من سكانه، تمهيداً لاحتلاله، واستغلال مقدراته، لا سيما وأن للكيان الصهيوني، أطماعاً في المياه اللبنانية، (مياه الليطاني، الوزاني والحاصباني)، وله أطماع تاريخية بأرضه الخصبة.

نستطيع القول بأن الجنوب، دخل في مرحلة جديدة، كانت في غاية الاهمية، نتيجة ما حصل من احداث، وتطورات، تركت ظلالها على المستقبل.

إنّ إنشاء ما سمي بجيش لبنان الحر، على يد العميل سعد حداد[1]، في القرى المسيحية، المحازية لحدود فلسطين المحتلة، جعل من منطقة بنت جبيل، ساحة حرب مشتعلة يومياً، مما أدى لشل الحياة الاقتصادية، وبداية تفريغ المنطقة من سكانها، نازحين إلى العديد من القرى، البعيدة عن خط المواجهة، أو إلى العاصمة بيروت، أو مهاجرين خارج لبنان، ومما زاد في تعطيل الحياة، غياب الدولة اللبنانية عن المنطقة، وتوقف البلديات عن تقديم الخدمات، فعاشت المنطقة تحت نيران الاحتلال، وحرمان واهمال الدولة، وتوقف مؤسساتها عن العمل.

سادساً: الاجتياح "الاسرائيلي" في العام 1978م وآثاره

1 – عملية الليطاني

1- علي عبد فتوني، **مرجع سابق**، ص 176.

كانت الخطة العسكرية "الإسرائيلية" جاهزة لاحتلال الجنوب، وكانت شرارة ذلك الاجتياح عملية «كمال عدوان» نهار السبت 11/ 3/ 1978م[1]، على الطريق الساحلي شمالي تل أبيب، وأدّت إلى مقتل 37 "إسرائيلياً"، وجرح 82 آخرين[2].

بدأت عملية الليطاني بُعيد منتصف ليل 14 – 15 آذار 1978م[3]، واستمرت حتى 21 من الشهر نفسه، حيث تمكنت القوات "الإسرائيلية"، في مدة وجيزة، من السيطرة على مناطق تشرف على مجرى الليطاني شمالاً، ما عدا جيب صغير، يمتد على المرتفعات المشرفة على مدينة صور، وما بينها، وبين مصب القاسمية، وحتى بلدات كوكبا وراشَيّا الفخار، وكفرشوبا في الشمال الشرقي، وقد رافق ذلك الاجتياح، المجازر الجماعية التي أقدمت عليها قوات الاحتلال، فعانى الجنوبيون القتل، والتهجير والتشريد واحتلال أرضهم، وممتلكاتهم. بعدها، اجتمع مجلس الامن في 16\3\1978، وأصدر القرار 425، دعا فيه «إسرائيلَ» إلى وقف فوري لإطلاق النار. **وقد نص على الاتي**:

- وقف إسرائيل لعملياتها العسكرية ضد الأراضي اللبنانية.
- الانسحاب من الاراضي اللبنانية.
- تشكيل قوة دولية تابعة للأمم المتحدة، وإرسالها إلى الجنوب للتأكد من الانسحاب الإسرائيلي[4].

2- مصطفى بزي، **بنت جبيل حاضرة جبل عامل**، مرجع سابق، ص 546.

3- علي عبد فتوني، مرجع سابق، ص 176.

4- صحيفة السفير اللبنانية، 16\3\1978.

1- علي عبد فتوني، ص 178.

لم تذعن «إسرائيل» للقرارات الدولية كما هي العادة، بل أبقت قواتها في مساحة 700 كلم تقريباً، وهي المساحة الإجمالية للشريط المحتل في صيغته الأولى (1978م - 1982م)[1].

2 - دلالات وآثار الاجتياح الصهيوني عام 1978م

-للاجتياح المذكور دلالات وآثار عديدة نوجزها بما يلي:

أ - حصل الاجتياح في العام 1978، ما اوجد معطيات جديدة، تمثلت بمنطقة "الشريط الحدودي".

ب - قام الجيش "الاسرائيلي" بتنفيذ "عملية الليطاني"، حيث بسط سيطرته حتى نهر الليطاني، الذي يصل إلى شمال مدينة صور، على شاطئ البحر الابيض المتوسط. ومما لا شك فيه ان احلام السيطرة على مياه هذا النهر، لا تزال تراود قادة "اسرائيل" منذ امد بعيد.

ج- وفي هذه العملية الواسعة التي امتدت جغرافيا من راشيا الفخار شرقا حتى راس البياضة على شاطئ البحر غربا، أي على جبهة طولها مئة كيلومتر، وعرضها بين 7 و17 كيلومترا، بمشاركة ثلاثين الف جندي "اسرائيلي"، مدعومين بالدبابات والمدفعية والطائرات والبوارج الحربية.

د - شملت العمليات الحربية 358 قرية، في اقضية حاصبيا وبنت جبيل والنبطية وصور، سيطر الجيش "الاسرائيلي" خلالها على مساحة 1100 كيلومتر مربع

2- مصطفى بزي، مرجع سابق، ص 549.

من الاراضي اللبنانية، وتدمير آلاف المنازل، والمدارس والمؤسسات ودور العبادة، واتلاف المساحات والمحاصيل الزراعية، وقتل وجرح مئات المدنيين[1].

ه - نتج عن "عملية الليطاني" الاعلان عن "الشريط الحدودي"[2]، وهذا ما ساهم في منع تنفيذ قرار مجلس الامن الدولي رقم 425.

و - لم تتمكن قوات الطوارئ الدولية، والجيش اللبناني، من دخول الشريط الحدودي، لتنفيذ القرار المذكور، وانما تفاعلت الاحداث والتطورات الامنية، حتى بات الشريط المحتل يضم 56 بلدة وقرية، في اقضية حاصبيا، مرجعيون، بنت جبيل وصور[3].

وبعد الاجتياح تلقى الامام السيد موسى الصدر، دعوة من الرئيس معمر القذافي لزيارة ليبيا، وكان السيد يرغب بالقيام بجولة عربية لشرح معاناة الجنوب، لكن المفاجأة كانت في اختطاف القذافي للسيد مع مرافقيه، وبغياب السيد برزت شخصية الرئيس نبيه بري، الذي تبوأ رئاسة حركة أمل في العام 1980.

شهد العام 1981، تصعيداً امنيا في مناطق صور والنبطية والزهراني وحاصبيا وراشيا الوادي واقليم الخروب والشوف، وصولا الى بيروت. مما ساهم في تفاقم الاوضاع الداخلية اللبنانية، بالتزامن مع التحركات المسلحة للمقاومة الفلسطينية، ومع بروز العوامل الاقليمية والدولية المحركة للازمة

1- منشورات مجلس الجنوب، **الاحتلال "الاسرائيلي" وقائع وآثار**، ط 1، بيروت 1995، ص 12.10.

2- اعلن الرائد المتعامل مع العدو الاسرائيلي سعد حداد، بتاريخ 1979/4/19 ومن مستعمرة المطلة قيام "دولة لبنان الحر"، في منطقة الشريط المحتل من جنوب لبنان. جريدة النهار اللبنانية، في 20\4\1979.

1- عدنان السيد حسين، **"الاحتلال "الاسرائيلي" في لبنان"**، ط 1، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت 1998، ص 13.

اللبنانية، أتى الغزو "الاسرائيلي" للبنان في صيف العام 1982، ليصل إلى العاصمة بيروت، شاملاً ثلثي الاراضي اللبنانية[1].

سابعاً- اجتياح عام 1982م

في 3\6\1982م، جرت في لندن محاولة اغتيال السفير "الإسرائيلي" شلومو أزغوف، ورغم نفي منظمة التحرير الفلسطينية علاقتها بالحادث، إلا أن "إسرائيل" استغلت العملية، وإتخذتها ذريعة لإجتياح لبنان[2].

بدأ الاجتياح "الإسرائيلي" في 6\6\1982، وسميت العملية العسكرية "سلامة الجليل"، وكان ذلك بعد جلاء الجيش "الإسرائيلي" عن سيناء، "وبأعتقاده أنه حيّد مصر، مما يمكنه من القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية، والهيمنة على لبنان"[3].

حاصر الجيش "الإسرائيلي" مدينة بيروت، فتصدى له المقاومون، من اللبنانيين والفلسطنيين، من مختلف الاحزاب الوطنية والاسلامية، وكانت مواجهة خلدة، التي خاض فيها المقاومين والمواطنين معارك بطولية[4]، وقد برزت حركة امل في المواجهة، لكنا الخسائر كانت فادحة في الارواح والممتلكات، جراء العدوان البربري والهمجي للعدو، وقد إستخدمت كافة الأسلحة، البرية، البحرية والجوية، ولا سيما منها المحرمة دوليًّا.

2-"**الاحتلال الاسرائيلي وقائع وآثار**"، مصدر سابق ص 17.

3- مصطفى بزي، مرجع سابق، ص 556.

1- بيان نوهيض، **اشكاليات الوعي والذاكرة العربية على ضوء الصراع العربي الإسرائيلي**، ط 1، دار المعارف الحكمية: 2012م، ص 19.

2- عدنان فحص، "**الحرب اللبنانية أسباب ونتائج**"، ط 1، دار الحسام، بيروت: 1991، ص 34.

وخلال شهر تموز 1982، حاصرت إسرائيل بيروت، وإستقدمت قوات إلى المدينة، وتم تعبئة الوية الاحتياط، لإعدادها لدخول العاصمة، وخلال هذا الحصار، وضعت خطة لترحيل المقاتلين الفلسطنيين من بيروت، وقد نصت الخطة على الآتي: "أن تقوم قوات دولية بالنزول في بيروت من أجل ترحيل المقاتلين، مقابل تعهد خطي أمريكي بعدم دخول الجيش "الاسرائيلي" الى بيروت،"[1] ففي 14\9\1982م، احتلت "إسرائيل" بيروت، وكانت أول عاصمة عربية تسقط بعد قيام الكيان الصهيوني واحتلال فلسطين[2].

دخل الجيش "الاسرائيلي" بيروت، فإرتكب أفظع مجزرة في تاريخه الحافل بالمجازر، في مخيم صبرا وشاتيلا على يد حلفائه من القوات اللبنانية، فقتل أكثر من 1500 مواطن، من الفلسطنيين، واللبنانيين، نساء وشيوخ واطفال، وكالعادة لم يرتجف حاجب المجتمع الدولي، ولم يزرف الدمع، بل إكتف بالإدانة والاستنكار، لأن الذين قتلوا هم من العرب والمسلمين، ولم يخرج الجيش "الاسرائيلي" من بيروت إلا بعد خروج الجيش السوري، ومنظمة التحرير الفلسطنية منها، وفرض إنتخاب بشير الجميل قائد القوات اللبنانية رئيساً للبنان، وتوقيع إتفاق 17 أيار بالشروط الإسرائيلية مع لبنان[3].

1 - <u>نتائج غزو العام 1982</u>

ترك غزو العام 1982 آثار عديدة، وفي أكثر من مجال، أهمها:

3- شيمعون شيفر، "**كرة الثلج، أسرار التدخل الاسرائيلي في لبنان**، ط 1،" القدس: 1984، ص 201.

4- مصطفى بزي، مرجع سابق، ص 556.

1- عدنان فحص، مرجع سابق، ص 35.

أ - خروج 10876 مقاوم فلسطيني مسلح من لبنان[1]، ونشأة المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال "الاسرائيلي"، مما فرض عليه الانسحاب على أربعة مراحل: من بيروت والجبل وصيدا في 16\2\1985، وفي 24\4 من نفس العام من البقاع الغربي وراشيا، وبعد خمسة ايام انسحبت من منطقة صور، وكان الانسحاب الرابع في 16\6\1985، إلى داخل الشريط الحدودي، التي عمدت إلى توسيعه، وضم قرى وبلدات جديدة اليه[2].

ب_ بعد ثلاثة أيام على إنسحاب المقاتلين الفلسطنيين من العاصمة، وصلت القوات المتعددة الجنسيات: الاميركية، الفرنسية والبريطانية إلى بيروت[3].

ج - سيطر الجيش "الاسرائيلي" على مزارع صغيرة، إلى جانب سيطرته منذ العام 1978، على الشريط الحدودي الاول، والنتيجة هي توسعه من جراء غزو 1982، فبات يضم 167 بلدة ومزرعة، ويغطي مساحة 850 كيلومترا مربعا، أي ما يقارب 10% من اجمالي مساحة لبنان[4].

د - ومع تفاقم ممارسات الاحتلال "الاسرائيلي"، انخفض عدد السكان اللبنانيين المقيمين في الشريط الحدودي من 400 الف إلى 200 الف نسمة بسبب

2-"**الجنوب اللبناني 1948- 1986 حقائق وأوضاع**"، ط 1، الجمهورية اللبنانية، وزارة الاعلام، بدون تاريخ، ص 33.

3- عدنان السيد حسين، **مرجع سابق**، ص 14.

1- علي عبد فتوني، مرجع سابق، ص 187.

2- عدنان السيد حسين، **مرجع سابق**، ص 14.

عمليات التهجير والابعاد وتضررت الاراضي والمحاصيل الزراعية. وكذلك النشاطات التربوية والتعليمية والادارية داخل هذه المنطقة[1].

هـ - تورط الامريكيون في لبنان، فظهرت نتائجه بشكل سريع، إنفجار سيارة إستشهادي في السفارة الامريكية في بيروت، ومقتل العديد من رجال "السي أي ايه"، وفي 23\10\1983، إقتحم إستشهادي آخر ثكنة المشاة البحرية الأمريكية في مطار بيروت، ومركز القيادة الفرنسية مما ادى على الاثر لإنسحاب قوات المتعددة الجنسيات من بيروت[2].

واما الذريعة "الاسرائيلية" الجاهزة للغزو، فكانت "ضمان امن الجليل"، او ضمان امن شمال "اسرائيل"، حتى ولو اتى هذا الامن، على حساب اراضي دولة مستقلة، وذات سيادة، على ان مضمون هذا الامن، تحدده سلطات الاحتلال "الاسرائيلي"، خارج اطار المواثيق، والقواعد الدولية. هذا نموذج عن التوسعية "الاسرائيلية"، من خلال اقتطاع جزء من الاراضي اللبنانية، واهمال القرارات الدولية، الداعية إلى انسحاب قوات الاحتلال "الاسرائيلية" من جنوب لبنان وبقاعه الغربي.

2 – إنطلاق عمليات المقاومة ضد العدو

أ – ولادة المقاومة

لم تنعم القوات "الإسرائيلية" بالراحة، لإحتلالها المناطق اللبنانية، فقد بدأت العمليات الجهادية تلاحقها، فما أن أطلّ تشرين الثاني عام 1982م، حتّى كانت العمليات الاستشهادية، التي

3- المرجع نفسه، ص 14.

4- أندروا كوكبيرن، "**علاقات خطرة**"، ترجمة محمود برهوم، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت: 1992، ص 280.

افتتحها الشهيد أحمد قصير، مروراً بعملية الاستشهادي بلال فحص ونزيه قبرصلي، ثم كرّت سبحة العمليات، وتأججت المقاومة الشعبية والعسكرية، رافق ذلك غليان جماهيري، يرفض وجود المحتلين في أرض الوطن، وكان ردّ الإسرائيليين عنيفاً، تمثل بقتل واعتقال ونفي، كل من يجاهر بالعداء لهم، وعلى الرغم من ذلك اضطر العدو إلى الانسحاب، يقول الكولونيل "الإسرائيلي" دوف يرميا: "غرق الجيش "الإسرائيلي"، ومعه الدولة "الإسرائيلية"، في مستنقع الخوف، والكراهية، وسالت دماء أبنائه على أرض اجنبية...ووقعنا في قبضة الازمة اللبنانية، دون أن نعرف، كيف سنخرج أنفسنا منها"[1].

كان من نتائج الإجتياح "الإسرائيلي" على لبنان، ولادة المقاومة الاسلامية في لبنان، بتوجيه ودعم ورعاية من الامام الخميني(1900- 1989) في إيران[2]، فقامت بالعديد من العمليات العسكرية، والمواجهات البطولية، ضد جيش الاحتلال "الاسرائيلي".

إذن، إستطاعت المقاومة في لبنان إلحاق الهزيمة بالجيش "الإسرائيلي"، ووجهت له ضربات متلاحقة، جعلته يقف عاجزاً عن مواجهتها، مما جعله يفكر بالإنسحاب سريعاً.

وقد قدرت اضرار الإجتياح في العام 1982، بـ 7 مليارات ليرة لبنانية (ما يقارب ثلاثة مليارات دولار اميركي)، ودمرت 23 مدينة وقرية، و16 مخيما فلسطينيا، وسقط 73 الف ضحية وجريح، من اللبنانيين والفلسطينيين[3].

ب – أول عملية إستشهادية في صور

1- يرميا دوف، "**الاجتياح 1982**"، ترجمة: حسني عبد الحميد، ط 1، دار المروج، 1985، ص 113.

1- روح الله الخميني، قائد الثورة الاسلامية، ومؤسس الجمهورية الاسلامية في إيران، في شباط من العام 1979.

2- منشورات مجلس الجنوب، "الاحتلال "الاسرائيلي" وقائع وآثار"، مصدر سابق، ص 17.

في 1982/11/11، سجل التحول الكبير في عمليات المقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلي.

ففي صبيحة ذلك اليوم، قاد فتى من بلدة "دير قانون النهر"، سيارة مرسيدس مفخخة، بأكثر من مئتي كيلوغرام من المواد المتفجرة، مقتحماً مقر الحاكم العسكري الاسرائيلي، **الواقع في "بناية عزمي" وفجر نفسه بالمبنى وسقط المبنى كاملاً على من فيه**، قال: قائد المنطقة الشمالية في جيش الاحتلال أوري أور، ''لقد كانت الصدمة الأولى، والصدمة الأقوى للجيش الاسرائيلي في لبنان''[1].

المحصلة النهائية للعملية الإستشهادية الاولى 74 قتيلا و27 مفقودا، وفق اعتراف الناطق العسكري الاسرائيلي، وظل اسم منفذ العملية مجهولا حتى 19 أيار 1985[2]، عندما أعلنت المقاومة الاسلامية اسم منفذ العملية الشهيد احمد قصير.

ج- توالي العمليات البطولية

واذا كان يوم اعتقال الشيخ الشهيد راغب حرب في 19 آذار 1983[3]، سجل انطلاقة الانتفاضة الشعبية الكبرى، فإن انتفاضات القرى والمدن اللبنانية، استمرت بتصاعد يوما بعد يوم، تتنقل من قرية الى أخرى، لتعود اليها من جديد.. هكذا كانت بلدة معركة يوم استشهاد محمد سعد وخليل جرادي، ومدينة النبطية في ذكرى عاشوراء، وبلدة جبشيت يوم اختطف الشيخ عبد الكريم عبيد...

على اثرها كتب مراسل ''التايمز'' روبرت فيسك، الآتي: ''لعل الاسرائيليين غادروا القطاع الاسلامي

3- جريدة النهار اللبنانية، في 1982\11\12

1- بعد إنسحاب العدو الاسرائيلي من منطقة صور، وخروجه من بلدة دير قانون النهر، بلدة الاستشهادي احمد قصير، صحيفة السفير، في 1985\5\20.

2- جريدة النهار اللبنانية، في 1983\3\20.

من مدينة بيروت، في الوقت المناسب، فمع حلول يوم السبت، كانت بيروت الغربية تشتعل بالعمليات ضدهم، عملية كل خمس ساعات، وكان الجنود الاسرائيليون قد بدأوا يتورطون في حرب عصابات لا نهاية لها''[1].

وبعد عام على تنفيذ عملية أحمد قصير، ضد مقر الحاكم العسكري الاسرائيلي في صور، وانتقال القيادة الى مكان آخر، هاجم استشهادي (1983/11/4) بواسطة سيارة ''بيك آب'' مقر المخابرات الاسرائيلية في صور، وقد حاول الحراس الاسرائيليون ايقافه، لكنه لم يمتثل واندفع بها، متجاوزا الحاجز، وثلاثة سواتر ترابية، قبل أن يفجر نفسه في المبنى[2].

اعترفت اسرائيل بمقتل 29 من جنودها، في العملية الاستشهادية الثانية، منذ دخولها عام 1982 الى لبنان، وفي بيان وزعته ''منظمة الجهاد الاسلامي''، أعلنت مسؤوليتها عن العملية[3].

في 1984/1/18، كانت ساحة مدينة صيدا مسرحا لعملية بطولية، نفذها فتى في الرابعة عشرة من عمره يدعى نزيه القبرصلي، الذي تصدى لدورية اسرائيلية أمام الجامع العمري، وأمطرها بنيران رشاشه على مرأى من العشرات، فقتل على الفور أحد الجنود، وجرح ثلاثة آخرون، قبل أن يستشهد ليسجل اسمه، أحد رموز المقاومة الوطنية اللبنانية[4].

في 1984/6/16، كان الإستشهادي بلال فحص، قد اختار مكانا ضيقا، قرب جدار لأحد

3- حسن السبع، مقالة، جريدة السفير، في 24\5\2001.

1- جريدة النهار اللبنانية، في 5\11\1983.

2- وهذه المنظمة سبق لها أن أعلنت مسؤوليتها عن تفجير السفارة الاميركية، في نيسان 1983، فضلا عن تفجير مقري قيادة المارينز، في تشرين الاول 1983، وفرقة المظليين الفرنسيين.

3- جريدة النهار اللبنانية، في 19\1\1984..

بساتين الحمضيات، في بلدة الزهراني، وعندما اقتربت منه القافلة إقتحمها بسيارته،كان الإنفجار قويا، وصل صداه الى منطقة صور.

اعترفت قيادة العدو بالعملية، وقالت إن 11 جنديا أصيبوا بجروح، ووزعت حركة "أمل" نبذة عن الشهيد، ونص الوصية التي سلمها الى رئيسها نبيه بري[1].

وفي العام 1985، سجل تصاعد العمليات الاستشهادية، كما نفذت خلال هذا العام عمليات نوعية، وبرز حزب الله قوة أساسية وفاعلة في المقاومة.

ففي 1985/2/5، دوى صوت انفجار ضخم في برج الشمالي، تبين أن الإستشهادي حسن قصير، اقتحم بسيارته، قافلة كبيرة من القوات الاسرائيلية، وذكرت معلومات أن 22 جنديا "اسرائيلياً" أصيبوا بجروح، بعضها خطر، وأعلنت حركة "أمل" مسؤوليتها عن العملية "التي نفذها أحد تلامذة القائد محمد سعد"[2].

وفي 1985/3/10، عملية بطولية جريئة، وهذه المرة في جنوب الجنوب، وعلى مقربة من الحدود الدولية مع فلسطين المحتلة، شاب يقود سيارة مفخخة يقتحم بها قافلة "اسرائيلية"، قرب مستعمرة المطلة،

4- جريدة النهار اللبنانية، في 1984\6\17.

1- حسن السبع، مقالة، جريدة السفير، في 2001\5\24.

وتأتي نتائج العملية واختيار مكانها، كالصاعقة داخل الكيان الاسرائيلي.

اعترف الناطق العسكري "الاسرائيلي"، بسقوط 12 جنديا وجرح 14، أما في بيروت فقد وزعت "المقاومة الاسلامية" بيانا، أعلنت فيه مسؤوليتها عن العملية، وان أحد مجاهديها أبو زينب نفذها انتقاما للدماء الزكية، التي سالت في مجزرتي معركة وبئر العبد[1].

هذه العملية أثارت ردود فعل واسعة داخل الكيان الصهيوني، وأطلقت حملة واسعة للمطالبة بالانسحاب من لبنان.

يوسي شابيرا وزير الاستيعاب قال: ''يجب أن نثبت أقدامنا وان نقاتل والا فسيتبعونا الى ما وراء الحدود''، بينما دعا أبا إيبان الى ''انسحاب سريع جدا من لبنان لتدارك الموقف''، وهو ما أيده أفنون روبنشاين وزير الاتصالات وعايزرا وايزمن[2].

على أن الموقف الأكثر تعبيرا عن حال الهلع داخل الدولة العبرية، هو ما عبر عنه اسحاق رابين، بقوله:''إننا نواجه موقفا صعبا لأنه يجب علينا أن نتصدى للارهابيين الذين لا يتورعون عن استخدام أجسادهم كقنابل ناسفة''[3].

وفي 1985/4/9، نفذت الفتاة سناء محيدلي من الحزب القومي السوري، العملية الاستشهادية الأولى، التي تنفذها فتاة لبنانية عربية، ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي[4].

2- جريدة السفير، في 11\3\1985.

1- جريدة السفير، في 12\3\1985.

2- حسن السبع، مقالة، جريدة السفير، في 24\5\2001.

3- جريدة السفير، في 10\4\1985.

الناطق العسكري الاسرائيلي اعترف بالعملية وقال: ''إن ضابطين من الجيش الاسرائيلي قتلا، وان جنديين آخرين أصيبا بجروح، من جراء انفجار سيارة مفخخة''..

وهكذا لم يكن يمر أسبوع على تنفيذ عملية إستشهادية، حتى كانت المناطق المحتلة تشهد عملية مماثلة.

ولم تكن المقاومة المسلحة، لتنتصر بدحر الاحتلال، الا لأنها كانت امتدادا حيا لمقاومة شعبية شاملة، تمثلت في انتفاضات القرى والتجمعات اللبنانية، ضد جيش الاحتلال، رافضة التعامل معه، فهو في فكرها وعقيدتها: ''شر مطلق والتعامل معه حرام''..

وفي هجوم نوعي بارز للمقاومة، أسرت احدى مجموعاتها جنديين اسرائيليين 1986/2/17، في مكمن نصبته لسيارة كانت تنقلهما قرب بيت ياحون، داخل الحزام الأمني، وقد أعلنت ''المقاومة الاسلامية''، مسؤوليتها عن هذا الهجوم، الذي قتل فيه أيضا جنديان للعملاء من جيش لبنان الجنوبي[1].

وفي اطار العمليات النوعية أيضا نفذت في1986/7/11، مجموعة مشتركة من الحزب السوري القومي الاجتماعي، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، عملية مشتركة استهدفت مستعمرة نهاريا، وانتهت باشتباك مع قوات الاحتلال في رأس الناقورة، وأسفرت العملية باعتراف الاسرائيليين، عن مقتل جنديين واصابة تسعة آخرين، كما استشهد أفراد المجموعة الاربعة[2].

وفي 1986/9/18، نفذت المقاومة الاسلامية واحدة من أهم العمليات، عندما سيطرت لمدة ست ساعات على موقعين محصنين لميليشيات أنطوان لحد، في جبل الريحان، بعد مواجهة عنيفة، استخدمت فيها

1- المرجع السابق، في 1986\2\18.

2- جريدة السفير، في 1986\7\12.

الاسلحة الفردية، والقنابل اليدوية، وتحولت الى اشتباكات بالسلاح الأبيض، في بعض مراحلها، وقد أعلنت المقاومة أن رجالها أبادوا عناصر الموقعين، واعترفت اذاعة الميليشيات المتعاملة ب 11 قتيلا و24 جريحا[1].

وفي مواجهة بطولية، سيطر رجال المقاومة الاسلامية 1987/1/2، على موقعين لميليشيات أنطوان لحد، عند تلال برعشيت، وبيت ياحون، نتج عن ذلك استشهاد مقاومين، ومقتل العديد من عناصر الميليشيات. اعترفت "اسرائيل" بستة منهم، وتدمير ثلاث آليات، وغنمت المقاومة اسلحة وذخائر وملالة من نوع ''ام 113''[2].

ففي 1987/4/18، خاض اكثر من 250 مقاتل، في ''المقاومة الاسلامية'' مجابهات عنيفة مع قوات الاحتلال، وميليشيات لحد، في موقعي الشومرية وعلمان، وصفتها المقاومة بأنها واحدة من اكبر الهجمات ضد القوات الاسرائيلية، وادت الى سيطرة المقاومين على الموقعين، فترة من الوقت، وقتل عشرة "اسرائيليين" واربعة عناصر لحدية، في حين استشهد للمقاومة في هذه المواجهات 19 شهيداً[3].

وفي 1987/5/30 شنت ''المقاومة الاسلامية''، هجوما واسعا على قوات الاحتلال، وميليشيات لحد، وتمكن مئات المقاتلين، من السيطرة على اربعة مواقع معادية، في تلال جبل صافي، ومنطقة جزين، وقصفوا بالصواريخ اثني عشر موقعاً آخر، وقد اسفرت العملية التي اطلقت عليها تسمية ''عملية بدر الكبرى''، عن تدمير المواقع، بما فيها من بطاريات مدفعية، وآليات وسيارات، وغنم المقاومون آلية مدرعة

3- المرجع نفسه، في 1986\9\19.

4- جريدة السفير، في 1987\1\3.

1- جريدة السفير، في 1987\4\19.

نصف مجنزرة، واسلحة وذخائر، نقلوها الى المناطق المحررة، فيما سقط من العملاء، احد عشر قتيلاً، وستة وعشرون جريحاً، اعترفت اسرائيل بستة من جنودها[1].

وفي عملية جريئة نفذتها المقاومة الفلسطينية، بواسطة طائرات شراعية، داخل مستعمرة كريات شمونة 1987/11/25، قتل ستة جنود من الجيش "الاسرائيلي"، وجرح ثمانية آخرون، وقد جاءت هذه العملية في وقت، عمد فيه مسؤولو الحكومة، والجيش الاسرائيليين، الى تكثيف جولاتهم، في الشريط المحتل، لرفع معنويات عملائهم، بعد الضربات، والمواجهات البطولية لرجال المقاومة[2].

فبعد تصاعد العمليات والمواجهات النوعية ''للمقاومة الاسلامية''، ووقوع خسائر كبيرة في صفوف جيش الاحتلال، اقدمت قوات ''كوماندوس'' اسرائيلية 1989/7/28، على اختطاف إمام بلدة جبشيت الشيخ عبد الكريم عبيد، من منزله، في وسط البلدة، وذلك في عملية انزال، مؤلفة من مئة جندي، انزلتهم ثلاث مروحيات[3].

بدأ العام 1992، حاراً جداً على جبهة العدو في الجنوب، تخلله اقتحام مواقع عدة لجيش الاحتلال، والميليشيات المتعاملة معه، على ان الابرز كان قيام "اسرائيل" باغتيال الامين العام لحزب الله السيد عباس الموسوي في 1992/2/16، بينما كان موكبه عائدا من بلدة جبشيت، فاستشهد مع زوجته وطفله[4].إستلم السيد حسن نصر الله الامانة العامة للحزب، وفي عهده حققت المقاومة

2- جريدة السفير، في 1987\5\31.

3- المرجع نفسه، في 1987\12\26.

1- صحيفة النهار اللبنانية، في 1989\7\29.

2- الصحافة اللبنانية، 1992\2\17.

الاسلامية إنتصارات كبيرة لا مثيل لها في تاريخ الصراع العربي "الاسرائلي"، مما أكسب السيد نصر الله شهرة عربية وإسلامية واسعة[1].

اعلن ''حزب الله''، ان حربه مع "اسرائيل" مفتوحة، وان قصف المناطق والقرى الآهلة بالسكان، سيكون الرد عليه بالمثل.

وفي 1992/2/21، إستخدمت المقاومة الاسلامية، ولأول مرة صواريخ ''الكاتيوشا''، فقصفت التجمعات "الاسرائيلية"، واجبرت قوة من جيش الاحتلال، على الانسحاب من منطقة كفرا ياطر، والعودة الى الحزام الأمني، ومنذ ذلك الحين، يمكن القول دخل صاروخ ''الكاتيوشا'' في معادلة المقاومة بشكل واسع[2].

وفي عملية نوعية، وجهت المقاومة الاسلامية في1992/10/5، ضربة قاسية الى ''جيش لبناني الجنوبي'' المتعامل مع "إسرائيل"، بقتلها المسؤول عن جهاز الأمن، في منطقة بنت جبيل، حسين عبد النبي.

3 – عملية تصفية الحساب عدوان 1993م

في شهر تموز 1993م، عدوان جديد "للجيش الاسرائيلي"، تحت اسم عملية تصفية الحساب، أو حرب الأيام السبعة (حسب التسمية اللبنانية)، هي حرب واسعة، شنتها إسرائيل على لبنان، والهدف منها القضاء على المقاومة الاسلامية، فاعتمدت فيها "إسرائيل" بشكل رئيسي على سلاح الجو المتفوق كمّاً ونوعاً[3].

3- نقولا ناصيف، "**السيد حسن نصر الله، رئاسيات 1995**"، ملف النهار، الاربعاء 4\10\1995م.

4- جريدة السفير، في 22\2\1992.

1- بيان نوهيض، "مرجع سابق"، ص 30.

عملت خلالها على فصل الجنوب عن باقي المناطق اللبنانية، فقطعت الطرقات بين القرى، ودمرت الجسور، وعزلت الجنوب عن العاصمة ، وفصلت منطقة الجنوب عن بيروت، من خلال حزام ناري كثيف، مما أدى إلى تهجير مئات الألاف من الجنوبيين، والحاق خسائر فادحة في الممتلكات، فضلا عن سقوط مئات القتلى، والجرحى من المدنيين، واستمر هذا العدوان سبعة أيام متواصلة[1].

أ – أسباب الحرب

من الأسباب الرئيسية غير المعلنة للحرب، تنامي قوة وقدرة المقاومة الإسلامية في لبنان، وتزايد خطرها على المشروع الامريكي الاسرائيلي، ومشروع الاستسلام المعد للمنطقة.
ففي أواخر حزيران 1993م، تمادت "إسرائيل" بالاعتداءات على المدنيين (ياطر وبرعشيت)، سقط خلالها عدد من الشهداء، ردّ حزب الله، بإطلاق عدد من الصواريخ على مستعمرة(زرعيت) في شمال فلسطين المحتلة، أدت إلى مقتل خمسة جنود إسرائيليين، قررت الحكومة الإسرائيلية آنذاك، القضاء على المقاومة بعملية عسكرية كبيرة[2].

ب – الأهداف المعلنة

من الأهداف المعلنة للعدوان:

- القضاء على المقاومة الإسلامية.
-تدمير ترسانة الصواريخ الموجودة لدى حزب الله، ومنعه من استخدام جنوب لبنان، كقاعدة لضرب "إسرائيل".

2- بلال شرارة، "**قانا وأخواتها(1936– 1996)**"، ط 1، دار عالم الفكر، ط 1، 1996، ص 276.

1- مجلس النواب اللبناني، المجلد 26، آذا 1998، ص 7.

-الضغط على الحكومة اللبنانية، كي تتدخل ضد حزب الله[1].

ج- **النتائج**

فشلت إسرائيل في تحقيق أهدافها، بسبب صمود المقاومة الاسلامية، واستمرارها بقصف قرى ومستوطنات شمال "إسرائيل"، وعدم قدرتها على إيقافها، فقد تم التوصل إلى إتفاق على وقف إطلاق النار، بعد أسبوع من بداية الحرب، "اتفاق شفوي" صدر من (منظمة الأمن العالمي)، في الولايات المتحدة الامريكية، جاء فيه: « أنه قد تم التوصل إلى اتفاق شفهي بين إسرائيل وحزب الله، وافقت فيه إسرائيل على الامتناع عن مهاجمة اهداف مدنية في لبنان، في حين تعهد حزب الله بوقف إطلاق الصواريخ على شمال "إسرائيل"»[2].

إلاّ أن حركة التصعيد بقيت مضبوطة ضمن عمليات عدوانية، لم ترق إلى الاجتياح الميداني، أو إعلان حرب، بفعل استمرار التوازن السياسي– الأمني، الذي أفرزته تفاهمات تموز 1993م، لكنها سرعان ما فتحت على تأويلات وتفسيرات ومواقف متناقضة.

حرصت القيادة السورية، على وضع تفاهمات ما بعد حرب تموز، ضمن حدود المهمة المعطاة لها، وحتى لا تأخذ المبالغة "الإسرائيلية" مداها، في إعطاء هذه التفاهمات أحجاماً غير صحيحة، نقلت أوساط صحافية في بيروت، عن الرئيس الراحل حافظ الأسد، قوله: "إن الاتفاق محدد جداً، ومحدود جداً، يتوقف العدوان "الإسرائيلي" فتتوقف صواريخ الكاتيوشا". آخذاً في الحسبان أن الصواريخ استخدمت للرد، ولم تكن هي السبب، بل الذريعة، ولقد حاول الإسرائيليون ان يوهموا

2- صحيفة النهار، قي 25\7\1993.

3- أنور خطار، **"الاعلام والمقاومة"، تجربة حرب الايام السبعة**، ط 1، مجلس الثقافي للبنان الجنوبي، بيروت: 1995، ص 179.

العالم، أنّ الجنود الذين قتلوا قبل ذلك بأيام، في مواجهات شنها المقاومون فوق الأرض اللبنانية، انما قتلوا داخل الكيان الصهيوني، بصواريخ الكاتيوشا[1].

ان الاتفاق الذي اطلق عليه اسم تفاهم وتم بوساطة اميركية، كان بدء تنفيذه مساء 1993/7/31م، ويقضي بوقف اطلاق صواريخ الكاتيوشا على شمال فلسطين المحتلة، في مقابل تعهد إسرائيل بعدم قصف القرى الآهلة والمدنيين اللبنانيين، وهو اتفاق سارع حزب الله الى التقليل من أهمية التزامه به، إذ سبق له أن أعلن اكثر من مرة، أنه لا يحبذ سياسة قصف الكاتيوشا، وأنه لم يلجأ اليها إلا رداً على الاسلوب "الإسرائيلي"، بقصف القرى والمدنيين، عقب أي عملية ينفذها رجال المقاومة[2].

وبعد أقل من شهر واحد على الاتفاق، أخذت المواجهات العسكرية تتزايد، وفقاً لقواعد اللعبة الجديدة، ففي الأول من آب استأنفت المقاومة عملها كالمعتاد من دون إطلاق صواريخ الكاتيوشا، واستأنفت "اسرائيل" غاراتها على قواعد المقاومة، وقد أتاحت الديبلوماسية الأميركية "لإسرائيل" الوقت الكافي لممارسة ضغوطها، وتحقيق أفضل النتائج، على ألاّ تؤدي هذه الضغوط إلى تخريب مفاوضات السلام، وهو ما تحرص عليه القيادة الإسرائيلية[3].

لكن وعلى الرغم من الدعم الأميركي للحكومة العمالية "الإسرائيلية"، فقد واجه رئيسها إسحق رابين، انقساماً في المجتمع السياسي، خاصة من جانب زعيم الليكود بنيامين نتنياهو، (الذي

1- محمود ابراهيم حيدر، باحث وصحافي لبناني،"**نهاية الجدار الطيب**"، الاتحاد الاماراتية 8- 200/8/9.

2- صحيفة النهار اللبنانية، في 1\8\1996.

1- بدأ وزير الخارجية الاميركية آنذاك (وارن كريستوفر)، جولته في المنطقة سعياً وراء تذليل الصعوبات، التي تعترض طريق السلام (بالمفهوم الامريكي والاسرائيلي)، شاهراً التهديد، بأنّ ما جرى في الجنوب اللبناني، يجب ان يشكل تحذيراً لما يمكن ان يحدث في المنطقة، اذا فشلت عملية السلام.

أصبح بعد انتخابات عام 1996م، رئيساً للحكومة "الإسرائيلية")، فإلى الدعوة التي وجهها رئيس حركة تسومت اليمينية رفائيل إيتان، لتوسيع منطقة الحزام الأمني، واستقالة رئيس الأركان إيهودا باراك، عملا آرييل شارون وبنيامين نتنياهو، على مهاجمة الاتفاق،"الذي يعطي الإذن لحزب الله بقتل الجنود الإسرائيليين"... فيما اقترح آخرون الانسحاب من لبنان، وانتشار الجيش "الإسرائيلي" على الحدود، لكن نتنياهو اعتبر: "أن على إسحق رابين أن يعترف بأنّ لا قيمة للتفاهمات التي توصل اليها مع سوريا، ولا يجوز أن تكون أيدي الجيش "الاسرائيلي" مكبّلة في حربه ضد حزب الله، بسبب تفاهمات فارغة من المضمون، على الحكومة أن تغيّر سياستها، كي تعيد الأمن إلى الشمال"[1].

ولم يمر اسبوع على التوصل لهذا التفاهم، حتى تلقت قوات الاحتلال، واحدة من اقسى الضربات في جنوبي لبنان، سقط فيها تسعة جنود قتلى، واصيب خمسة آخرون بجروح، في عمليتي تفجير عبوات ناسفة، نفذتهما المقاومة الاسلامية في منطقة الشريط الحدودي المحتل، في 19\8\1993، وهو ما اعتبره شمعون بيريز بـ"مأساة كبرى"، اما وزير الشرطة موشي شاحال، وفي محاولة لتخفيف حدة المطالبة بالانسحاب من لبنان على اثر هذه العملية، قال: "لا شيء بل لا احد سيمنعنا من الاحتفاظ بحرية تحركنا... بالرغم من هجوم الخميس، فإن عملية تصفية الحسابات نجحت، وحققت اهدافها، لان حزب الله لن يطلق بعد الآن، النار على مناطقنا في شمالي اسرائيل"[2].

4 – عدوان عام 1996م وتفاهم نيسان

أ – أجواء ما قبل العدوان

2- محمود ابراهيم حيدر، مرجع سابق، في 8-200/8/9.

1- جريدة النهار اللبنانية، في 20\8\2012.

لم تمض سنوات ثلاث على ما عُرف بتفاهمات تموز عام 1993م، حتى اشتعلت الجبهة الجنوبية وتبددت التفاهمات، فالتطورات التي أعقبت تفاهم تموز وصولاً إلى عدوان 11 نيسان 1996م (عناقيد الغضب)[1]، كانت محكومة بسياق منطقي، سوف يؤدي بالضرورة إلى ما آلت إليه الأمور. صحيح أن الحكومة العمالية (في الكيان الصهيوني)، ظلّت هي نفسها تحت زعامة شيمون بيريز، إلا أنها لم تستطع أن تبدل سياسات الحكومة السابقة حيال جنوب لبنان، بعد اغتيال إسحق رابين، فمنذ أواسط عام 1995م، نحت المواجهة في الجنوب منحى تصعيدياً، عبّر عن ضيق الجيش الإسرائيلي بالقيود التي فرضها تفاهم تموز لعام 1993م عليه، وهو يرى ضباطه وجنوده يتساقطون، داخل المنطقة المحتلة في جنوب لبنان، نتيجة ضربات المقاومة، ويرى تطور أدائها وفاعليتها، في المواجهات الهجومية، (اقتحام مواقع، كمائن، زرع الألغام، والعمليات الاستشهادية)، وغير ذلك من أشكال المقاومة المسلحة[2].

ب – المنطلقات الصهيونية

عكست عملية عناقيد الغضب، ذروة المواجهات الميدانية بين جيش الاحتلال والمقاومة، وحين اتخذت الحكومة الإسرائيلية قرارها ببدء العدوان، كان هاجسها الأول وقف حرب الاستنزاف، التي يتعرض لها جيشها بأي ثمن، إلاّ أنّ الاستهدافات الاجمالية من وراء هذه الحرب المحدودة، ظلّت خطوطها الاستراتيجية على حالها، وهي:

2- بيان نوهيض، **مرجع سابق**، ص 31.

3- علّق المحلل العسكري الاسرائيلي، زئيف شيف، بالقول: "ان الاعمال الصغيرة لم تعد كافية بعد نجاح حزب الله في تحسين أدائه وازدياد جرأته، فالعمليات العسكرية التي يقوم بها تحاذي الحدود مع اسرائيل، وعندما يرد الجيش الاسرائيلي، يقصف الحزب مستوطنات الجليل، وقد أدى ذلك الى تآكل تفاهم تموز". الإذاعة الإسرائيلية، 5\7\1995. محمود ابراهيم حيدر، باحث وصحافي لبناني، **نهاية الجدار الطيب**، الاتحاد الاماراتية 8_2000/8/9.

1- أمن مستعمرات الشمال، وأمن الجنود الإسرائيليين في المنطقة المحتلة.

2- نزع سلاح حزب الله، أو على الأقل، تحجيمه وتقييد نشاطه (عبر الضغط على القيادتين اللبنانية والسورية، من خلال أعمال التدمير والتهجير).

3- إضعاف سوريا، ودفعها للإنضمام الى العملية السلمية، بأقل ما أمكن من الشروط، ومن خلال إنهاء أو اضعاف المقاومة.

4- تحسين صورة رئيس حكومة العدو "الاسرائيلي" شمعون بيريز، في مجال الأمن والسياسة، ودعم حزب العمل في انتخابات الكنيست.

5- الحد من تآكل هيبة الجيش "الإسرائيلي"(رفع معنويات الجيش).

6- رفع معنويات الميليشيا "الجيش اللبناني الجنوبي"، وسائر عملاء إسرائيل في المناطق المحتلة، الذين يعيشون حالة ارتباك، وقلق، وخوف على مصيرهم[1].

ج- تداعيات العدوان على الكيان الصهيوني وتفاهم نيسان

بعد ستة عشر يوماً من حرب عدوانية واسعة النطاق، على الجنوب والبقاع الغربي، وقع "الاسرائيليون" مجدداً في دوائر الخيبة، فالاستهدافات السياسية والأمنية لحرب عناقيد الغضب، لم تحقق شيأً من استراتيجيات الاحتلال، منذ آخر انسحاب لجيشها في العام 1985م، مع وقف العمليات الحربية فجر السابع والعشرين من نيسان عام 1996م[2].

1- وقد أوضح ذلك الجنرال عميرام ليفين، قائد المنطقة الشمالية آنذاك، قائلاً:"ينبغي ان نجعل حزب الله يشعر بشدة بطشنا". الاذاعة الاسرائيلية، نقلاً عن محمود ابراهيم حيدر، باحث وصحافي لبناني، مرجع سابق.

2- حسن السبع، مقالة، جريدة السفير، في 24\5\2001.

وفور توقف العدوان "الإسرائيلي" (عملية عناقيد الغضب)، اشتعل السجال على أشده، داخل المعسكر السياسي "الإسرائيلي"، وكان ذلك نتيجة لصمود المقاومة، والشعب، والمجزرة البشعة التي ارتكبها جيش العدو "الإسرائيلي" في بلدة قانا[1]، وذهب ضحيتها أكثر من 109 مواطنيين لبنانيين، فضلاً عن عشرات الجرحى والمشوهين، بعدما استهدف القصف "الإسرائيلي"، أحد عنابر الكتيبة الفيجية التابعة لقوات الأمم المتحدة[2]، للأسف كانت ردة الفعل الدولية خجولة، ولم يصدر موقف صريح من الأمم المتحدة بإدانة إسرائيل، وذلك مع فظاعة الاعتداء الاسرائيلي، وقصفها لمقر الامم المتحدة، وقتلها أكثر من مئة مدني، وهذا إن دلّ على شيء، فأنه يدل على عدم عدالة المجتمع الدولي، وانحيازه الدائم لإسرائيل، واعتبرت المجزرة، من الأمور التي سرّعت في وقف النار، وزادت في إحراج الحكومة الإسرائيلية، وكان على حكومة شمعون بيريز وقيادة أركانه، أن تتلقى غضب الرأي العام الدولي وإدانته للمجزرة، وأن ترضخ بالتالي لجهود الأمم المتحدة، والمساعي الأوروبية، والأميركية في هذا السياق، وقد نجحت المبادرة الفرنسية في تثبيت الصياغة النهائية لتفاهم نيسان، بعد جدال عسير مع الأميركيين والإسرائيليين، ودخول فرنسا كعضو في لجنة المراقبة، ثم في التناوب على رئاستها مع الولايات المتحدة[3].

د- أهمية تفاهم نيسان

جاء تفاهم نيسان، الذي أعلن بشكل مكتوب في السادس والعشرين منه، ليلغي تفاهم تموز سنة 1993م، الشفهي ويحل محله، وبهذا المعنى، وجدت إسرائيل نفسها توقع على هدنة أمنية

3- شرارة بلال، **مرجع سابق**، ص 301.

4- محمود ابراهيم حيدر، الاتحاد الاماراتية، مرجع سابق.

1- يوسف ذيب، "**سياسة الارهاب الاسرائيلي ضد لبنان**"، ط 1، اللجنة الوطنية لاحياء 14 أذار و 8 نيسان، بيروت: 1997، ص 133- 134.

ذات دلالات سياسية، من دون أن تكون مهيأة لها. صحيح أن التفاهم قد سدّ ثغرة مهمة في جبهة الحكومة الاسرائيلية، التي كان يرأسها الزعيم العمالي شمعون بيريز، لناحية وقف التورط المتزايد في حرب غير مضمونة النتائج، يتعرض فيها المستوطنون اليهود في الجليل لحمم الكاتيوشا، لكنه من الصحيح أيضاً أن عناقيد الغضب، لم تلبث أن استولدت المزيد من اختلال العلاقة بين التيارات المؤثرة في القرار الإسرائيلي، ثم عادت لتطلق سجالاً مزمناً حول جدوى البقاء في لبنان، والأثمان المطلوبة سياسياً، وأمنياً، في حال الإقدام على الانسحاب من طرف واحد[1].

ظهرت في المجتمع الاسرائيلي تساؤلات عميقة، عن الجدوى من حرب التي لم تبدل من قواعد اللعبة، ولم تحقق أي مكسب، سياسي او عسكري، بما يختلف أو يخالف روح تفاهم عام 1993م، ونقلت وسائل الاعلام الإسرائيلية، عن العميد رافي نوي، الرئيس السابق لهيئة اركان قيادة المنطقة الشمالية، انتقاده الشديد لأداء الجيش، واعتبرت ان العملية فاشلة، وأهدافها لم تتحقق، فقد ظل مقاتلوا حزب الله، يطلقون صواريخ الكاتيوشا طوال 16 يوماً على المستوطنات، ولم يكن الجيش قادراً على إسكات النار، وهذا ما لم يحدث سابقاً، منذ قيام الكيان الصهيوني، اذ لم تكن المستوطنات تبقى عرضة لاطلاق النار أكثر من يومين أو ثلاثة[2].

شهدت مرحلة ما بعد تفاهم نيسان، تطورات لافتة في حرارة الموقف السياسي الإسرائيلي، لجهة فتح باب التفاوض مع لبنان، وراح المسؤولون الإسرائيليون، وفي مقدمهم رئيس الحكومة شمعون بيريز، يقترحون إمكان الانسحاب من الجنوب اللبناني، في مقابل شروط لم تتبدل مضامينها عما سبق، وقدموها غداة عدوان تموز 1993م، وما قدمه بيريز في هذا الخصوص، يقوم على تجديد الدعوة إلى البدء بمفاوضات حول تسوية مرحلية مع لبنان، تنسحب إسرائيل بمقتضاها من

2- خليل حسين، "**عملية عناقيد الغضب وتفاهم نيسان**"، مجلة الحياة النيابية، مجلد 19، حزيران 1996، ص 55- 56.

1- علي عبد فتوني، مرجع سابق، ص 208.

المنطقة الأمنية إلى الحدود الدولية، في مقابل تجريد حزب الله من سلاحه، وضمان مستقبل أفراد ميليشا لبنان الجنوبي، وسلامتهم، على ان يترافق ذلك مع نشر وحدات الجيش اللبناني في المناطق الحدودية، في إطار ترتيبات أمنية ثابتة ومستقرة[1].

وجد لبنان في هذه الأفكار، ما يؤدي في حال القبول بها، إلى زعزعة وحدته، وتعريضه مجدداً للانقسام الوطني، وخصوصاً أن دخول الجيش اللبناني، للانتشار على النحو المطلوب إسرائيلياً، وتبعاً لتعقيدات وتناقضات المعادلة اللبنانية الداخلية، سيفضي إلى صدام لا تحمد عواقبه مع الرافضين للترتيبات الأمنية، وخاصة مع المقاومة.

تَراجعت الأعمال العدوانية عن مستواها المتصاعد، بعد الوصول إلى اتفاق وقف إطلاق نار بين "إسرائيل" ولبنان، تحت الرعاية الأمريكية، أُعلن الاتفاق في 26 نيسان. منعت الاتفاقية الهجمات المتبادلة على الأهداف المدنية، أو إستخدام القُرى لشَنّ الهجمات[2]. اعتبر الاتفاق انتصاراً للمقاومة الاسلامية، فهو إعتراف دولي بحقها بالمقاومة، ويحمي المدنيين من الاعتداءات الاسرائيلية، ويكبل يد العدو، علماً بأن المقاومة لم تكن لتطلق النار على العدو من داخل القرى، او لتطلق النار على المدنيين في الكيان الصهيوني[3].

بدأت لجنة مراقبة تطبيقِ اتفاقية نيسان، تَجتمع لمراقَبة تطبيق الاتفاق من الجانبينِ[4].

2- قناة المنار – بتاريخ 17\4\2007.

1- جريدة النهار اللبنانية، في 27\4\1996.

2- بلال شرارة، **مرجع سابق**، ص 346.

3- بيان نوهيض، **مرجع سابق**، ص 32.

اكتفى اللبنانيون بحدود تفاهم نيسان بوصفه إطاراً ممكناً ومعقولاً، كما قال وزير الخارجية اللبنانية آنذاك، فارس بويز[1].

أما حزب الله فرغم حرصه على التفاهم وديمومته، فقد أكّد أمينه العام السيد حسن نصرالله، "أن التفاهم لا يقيد حركة المقاومة من أجل تحرير الأرض، وأن المقاومة لا تطلق هجماتها من المناطق المأهولة، وهذا قيد وضعناه على أنفسنا منذ سنوات. لكن التفاهم يبقى محاولة جديدة وجادة لحماية المدنيين اللبنانيين"[2].

على هذه القاعدة، المعادلة التي عادت وجدّدت نفسها بعد تفاهم نيسان، لم يطرأ تحول جذري على قواعد اللعبة الإسرائيلية في الجنوب، باستثناء الحملة السياسية الديبلوماسية، التي أطلقتها حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، وتتعلق بالمنطلقات الجديدة للانسحاب من لبنان، وفي مقدمها اعتبار القرار رقم 425، الصادر عن الامم المتحدة، أساساً للتفاوض حول هذا الانسحاب.

كمين انصارية مرحلة متقدمة للمقاومة

إن التصعيد الإسرائيلي، الذي بلغ ذروته خلال حرب نيسان من العام 1996، لم يحصد فيه العدو سوى المزيد من الاخفاقات الميدانية، دفع قادته إلى اتخاذ إجراءات وقائية، تمثلت بإحداث أسلوب عسكري جديد يقوم على الإمساك بزمام المبادرة، من خلال عمليات خاطفة تؤدي إلى

4- محمود ابراهيم حيدر، **الاتحاد الامارتية**، مرجع سابق.

5- المرجع نفسه.

انهاك المقاومة، الأمر الذي يفقدها القدرة على المبادرة، وشكلت عملية انصارية احدى هذه العمليات، التي تدخل في سياق الأهداف الإسرائيلية الموضوعة مسبقاً[1].

عمد قادة الاحتلال، إلى التخطيط للعملية، مستهدفاً خطف احد قادة المقاومة الاسلامية، ففي 5 أيلول عام 1997، قامت قوة كوماندوس إسرائيلية مؤلفة من ستة عشر جندي، بإنزال ليلي في منطقة أنصارية[2].

1- حسن فضل الله، "**سقوط الوهم, هزيمة الإحتلال وإنتصار المقاومة في لبنان**"، ط 1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: 2001، ص 50.

2- جريدة السفير اللبنانية، في 6\9\1997.

وفي الساعة الواحدة إلا ربعاً، قامت القوات الإسرائيلية بقطع الطريق بين اللوبية وانصارية، لكن المقاومة فاجأت العدو بكمين، عمل على تفجير عبوتين في الوحدة الخاصة "الشيطيت"، ونتيجة الانفجار قتل العدد الكبير من أفراد القوة، ومنهم قائد الكوماندوس[1].

وقد أثبتت المقاومة من خلال هذه العملية الامور الاتية:

– إن حرب الاستخبارات التي كانت اسرائيل غالباً ما تحسن استخدامها في حروبها السابقة، منيت بضربة موجعة.

– إن المواجهة العسكرية بين أفراد المقاومة، وقوات إنزال إسرائيلي، لن تكون نتائجها لمصلحة العدو، لأن المقاومة تحسن فن الحرب الخاطفة، القائمة على المباغتة.

– إن هذه الهزيمة العسكرية الجديدة، تركت ذيولاً نفسية على أداء وحدات الكوماندوس الإسرائيلي، وأدت إلى زيادة الضغط في إسرائيل، وخارجها، حول الوجود الاسرائيلي في لبنان والإستفادة منه، مما جعل العدو يفتش عن خيارات لترك لبنان، وإيجاد ضمانات بأن حزب الله لن يطارد الجنود حينا إنسحابهم[2].

6– الانتصار والتحرير عام 2000م

أ – الانتصار نقطة تحول هامة

في 25 أيار عام 2000م، سجل أبطال المقاومة الوطنية والإسلامية في جنوب لبنان، أول انتصار عربي لا إلتباس فيه على العدو الصهيوني، الذي عاد أدراجه، يجر أذيال الهزيمة والخيبة، هو

1– المصدر السابق.

2– صحيفة النهار البنانية، في 18\9\1997.

والمتعاملين معه ممن خانوا وطنهم، الذين عرفوا بجيش "لبنان الجنوبي"، بزعامة أنطوان لحد، إنسحاباً ذليلاً بدون أي قيد أو شرط[1].

أعتبر هذا الإنتصار نقطة تحوّل في الصراع العربي "الإسرائيلي"، جاء من أصغر وأضعف دولة عربية، وذلك بفضل التعاون بين المقاومة والشعب والجيش، الذين ضحوا بأرواحهم وممتلكاتهم فداء للوطن، ودفاعاً عن شرف الأمة، هذا الإنتصار حطم وهم الجيش الذي لا يقهر، وبرهن للجميع أن الأرض غالية، ولا تسترد إلاّ بالإرادات، وبالتضحيات والقوة والدماء، وبذل الغالي والنفيس في سبيلها.

إن السياسة التي أنتهجها الجيش اللبناني، بعد اتفاق الطائف في العام 1989م، سمحت بقيام تحالف مع المقاومة، على قاعدة العداء "لإسرائيل"، والدفاع عن الوطن وخيار المقاومة، من خلال جبهة وطنية، رسمية وشعبية، تعتبر قوة للبنان، وقد إستطاع هذا التحالف أن يحقق أول نصر عربي حقيقي على إسرائيل، التي اضطرت للانسحاب من جميع الأراضي اللبنانية المحتلة، بإستثناء مزارع شبعا، دون قيد أو شرط أو تقديم أي تنازلات أو ترتيبات أمنية، يسعى إليها العدو منذ عشرات السنين.

تخلى "الإسرائيليون"، عن أفراد ميليشيا جيش "لبنان الجنوبي"، بقيادة العميل انطوان لحد، وهم ممن خدموهم طوال 22 عام، فشكل انتصار المقاومة الإسلامية والوطنية، على الجيش الإسرائيلي وعملائه، نقطة تحول أساسية في تاريخ لبنان المعاصر، وبدأت نتائجها الإيجابية تظهر جلياً في تعزيز جبهة المقاومة الفلسطينية، وبشكل خاص الانتفاضة التي أذهلت العالم.

ب – أسباب الانتصار عام 2000.

1- بيان نوهيض، **مرجع سابق**، ص 33.

يمكن تلخيص أبرز العوامل، التي ساعدت على تحقيق انتصار المقاومة في لبنان، واندحار العدو الإسرائيلي في 24 أيار 2000م، ضمن النقاط الأتية:

– التمسك بالمقاومة المسلحة أسلوباً، أثبت مصداقيته في مواجهة النظام الإسرائيلي، يخاف من الخسائر البشرية في صفوفه، أكثر مما يخاف من الشرعية الدولية، وقراراتها التي لم تنفذ، فليس بمقدور الدول، أو الشعوب الصغيرة، كلبنان، وفلسطين، الركون إلى إتفاقيات غير متكافئة، مع دولة محتلة، "كإسرائيل"، لا تفهم إلا لغة القوة، والقتل، والتهجير، وتضرب بعرض الحائط كل القوانين، والقيم الإنسانية[1].

– التنسيق والتعاون ما بين المقاومة والجيش من جهة، وتحركات الدولة اللبنانية في المحافل العربية والدولية، وصمود المجتمع المدني اللبناني، في مواجهة وحشية القصف الإسرائيلي، التي طالت مراراً البنى التحتية اللبنانية، خاصة الجسور والكهرباء والطرقات والمستشفيات والمدارس، من جهة أخرى.

– الإستفادة من الدعم العربي (خاصة سوريا)، والاسلامي المتنوع الذي ساعد لبنان على الصمود، والتصدي، وتجلى بتقديم مساعدات عاجلة للبنان، ووقوف الجمهورية الاسلامية في إيران، بجانب الشعب اللبناني ومقاومته، بشتى الوسائل (مالياً، إقتصادياً وعسكرياً...)[2].

– تمسك لبنان الرسمي بالقرار 425 لعام 1978م، الذي يفرض على "إسرائيل"، الانسحاب الفوري من لبنان، دون قيد أو شرط. لذلك حرص "الإسرائيليون"، ومعهم الأمين العام للأمم المتحدة، وكل القوى الحليفة والصديقة "لإسرائيل"، على وصف الهزيمة "الإسرائيلية" في لبنان في أيار 2000م، بأنها تنفيذ لقرارات دولية، وتطبيق للقرار 425 الصادر في العام 1978م، وقد مضى

1- نعيم قاسم، **"حزب الله، المنهج...التجربة...المستقبل"**، ط 1، دار الهادي، بيروت: 2002، ص 189.

2- مصطفى بزين **بنت جبيل مدينة النصرين**، ط 1، دار الامير للثقافة والعلوم، بيروت: 2009، ص 196.

عليه أكثر من عشرين عاماً، ولم يطبق، وعلى مرء من المجتمع الدولي، وبرضى مجلس الامن، الذي لم يحرك ساكناً، وذلك برغبة من الكيان الصهيوني ودعم الولايات المتحدة الامريكية، إن الانتصار في العام 2000، ماكان ليحصل لولا التضحيات الجسيمة، وقوة المقاومة. والتاريخ يشهد بأن الكيان الصهيوني الغاصب، ومنذ إحتلاله لفلسطين، لم يلتزم بأي قرار من قرارات الشرعية الدولية، ومما ساعده على ذلك، إستعمال أمريكا حق النقض الفيتو، في مجلس الامن في غالب الاحيان، لمنع صدور أي إدانة بحقه[1].

إذاً، تحول الانتصار اللبناني إلى ورقة ضاغطة على مفاوضات "السلام"، بحيث لم يعد المفاوض الإسرائيلي المدعوم أميركيا، قادرا على فرض إرادته، على المفاوض الفلسطيني، الرافض لتقديم أية تنازلات إضافية، وباتت المقاومة الفلسطينية مطالبه بالصمود، والتصدي للمشروع الصهيوني، لانتزاع الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني، وفي طليعتها حق العودة، وإقامة دولته المستقلة على أرض فلسطين، وإعلان القدس عاصمة للدولة الفلسطينية، وإجبار إسرائيل على تفكيك مستوطناتها على جميع الاراضي المحتلة في العام 1967.

وأكد إنت صار المقاومة في لبنان، على وجود حاجة ماسة لتطوير عمل المقاومة الفلسطينية، وعدم التخلي عن خيار تحرير الأرض بالقوة، واعتبار الخيار العسكري الخيار الاجدى والاوحد، لإعادة الحقوق العربية، بعد مرور عشرات السنوات من انتظار المجتمع الدولي، والأمم المتحدة، والحلول السياسية دون الوصول إلى نتيجة.

وقد استطاعت المقاومة إدخال مفاهيم جديدة في الثقافة العربية، كذلك في مفاهيم ومعتقدات المجتمع الإسرائيلي، فلم يعد الجيش الإسرائيلي الجيش الذي لا يقهر، واستيقظ العقل العربي، ولم يبق محاطا بعقلية المهزوم وذكرى النكبة والنكسة، وإلى ما هنالك من مفاهيم

2- المصدر نفسه، ص 114.

ومصطلحات، تربى عليها المواطن العربي وساهم حكامنا بالتسويق لها، وأصبح من الممكن للمظلوم أخذ حقه، ورفع مظلوميته، ولو أبى العالم[1].

7 – سلاح المقاومة يعيق إسرائيل مجدداً

أ – تداعيات هزيمة إسرائيل

بعد الهزيمة في لبنان، تبدو إسرائيل شديدة الحرص على نزع سلاح المقاومة اللبنانية، بأقصى سرعة ممكنة، وذلك لأسباب عديدة، أبرزها[2]:

- الهلع الحاصل في صفوف المستوطنين الإسرائيليين، على الحدود اللبنانية – الفلسطينية، حيث يتم نقل الطلاب بالسيارات العسكرية المصفحة من بيوتهم إلى المدارس، وتقوم إسرائيل بتكثيف تواجدها العسكري، في مستعمراتها القريبة من لبنان، بهدف طمأنة السكان فيها.
- منع النزوح من المستعمرات"المستوطنات" إلى داخل إسرائيل، أو الهجرة إلى الخارج.
- أن وجود سلاح المقاومة، يؤثر كثيراً على الهجرة اليهودية من الخارج إلى "إسرائيل" (فلسطين)، ويشجع المنظمات الفلسطينية مجددا على استخدام أسلوب الكفاح المسلح داخل الأراضي المحتلة، مما يهدد عملية الاستقرار والإنتاج داخل الكيان الصهيوني[3].

1- بيان نويهض، مرجع سابق، ص 34.

2- **إسرائيل تريد نزع سلاح المقاومة،** جريدة الاخبار اللبنانية، العدد ١٣٦٩ الثلاثاء ٢٢ آذار ٢٠١١

3- أوغوستوس نورتون، هل الحرب القادمة... قادمة.

–إن إسرائيل تخشى السلاح الذي قاد إلى هزيمة جيشها في لبنان، كما أن الصراع الفلسطيني – "الإسرائيلي" مازال متفجرا، وهو مرشح للاستمرار، لعقود إضافية، طالما بقي حلم "إسرائيل"، ببناء المشروع الصهيوني، بحلم إسرائيل الكبرى[1].

مع ذلك، يرى بعض المحللين أن هزيمة إسرائيل في جنوب لبنان، لا تعني هزيمة كاملة للجيش الإسرائيلي، الذي ما زال يحتفظ بكامل طاقاته القتالية، وهو يتزود بأحدث الأسلحة لخوض حروب مدمرة مع العرب، في حال تم الإعلان عن الفشل النهائي لمفاوضات السلام، وقد تطال الحرب الجديدة بعض الجبهات، إضافة إلى سوريا ولبنان، ويخشى اللبنانيون من نوايا إسرائيل المبيتة، لضرب البنى التحتية في لبنان مجددا، من الجو والبحر والبر، لكن بمقدور المقاومة الاسلامية أن تنزل ضربات موجعة "بالإسرائيليين"، من خلال ترسانتها الصاروخية التي تمتلكها في لبنان، ان الوضع اللبناني ما زال في غاية التعقيد، بسبب الظروف الإقليمية المحيطة بلبنان، والتي هي مرشحة للتصعيد، أكثر منها للانفراج، وهنا تبرز حاجة اللبنانيين إلى الالتفاف حول ضرورة تحصين الانتصار، الذي حققه بتضحياتهم طوال أكثر من عشرين عاما، ومنع "إسرائيل" من إحتلال لبنان مجددا.

سلاح المقاومة لابد منه

يرفض قسم كبير من اللبنانيين فكرة نزع سلاح المقاومة، لأسباب موضوعية ومنطقية، أبرزها[2]:

1- امين حطيط، مقالة في جريدة السفير، في 22\3\2005.

2- عبدو سعد، جريدة السفير، الجمعة في 11\3\2005.

– إن إسرائيل نفسها تطبق مقولة الشعب المقاتل، وتدرب المستوطنين، وتوزع السلاح على المستوطنات، لذا من حق المواطن اللبناني عامة، والجنوبي خاصة، أن يحافظ على سلاحه، لمواجهة شعب عدواني مسلح على حدوده المقابلة.

– إن قوات حفظ السلام الدولية لم تكن معنية يوما بالدفاع عن أمن اللبنانيين، طوال الثلاثين سنة الماضية على وجودها في جنوب لبنان، فقد ارتكبت إسرائيل أبشع المجازر في المناطق اللبنانية الخاضعة لسيطرة القوات الدولية، وأبرزها مجزرة قانا عام 1996م، كما أن الخسائر البشرية التي حلّت بقوات الطوارىء الدولية، من جراء القصف العسكري على جنوب لبنان، تعد بعشرات القتلى والجرحى.

– إن الجيش اللبناني غير قادر على حماية لبنان من الاطماع الإسرائيلية، ذلك لعدم وجود تكافؤ بينه وبين الجيش الإسرائيلي، ومن الخطأ الفادح ترك الجيش اللبناني وحيداً في مواجهة إسرائيل، بل لابد من المحافظة على القاعدة الذهبية، التي تتمثل بها قوة لبنان، الشعب والجيش والمقاومة.

إن لبنان مطالب اليوم بالاحتفاظ بسلاح المقاومة، إلى حين الوصول إلى حل نهائي، وشامل للصراع العربي – الصهيوني، وليس من الحكمة، أن يتخلى اللبنانيون عن المقاومة، التي أثبتت كفاءتها العالية في مواجهة العدو وتحرير الأرض، واكتسبت مصداقية كبيرة، حتى أصبحت فخر الامة وعزها، وليس ما يؤكد على تخلي "إسرائيل" عن أسلوبها العدواني ضد جيرانها، وبشكل خاص ضد اللبنانيين، والفلسطينيين، كما أن أي تأزم على المسار الفلسطيني، يمكن أن ينقلب إلى اعتداء على لبنان، وعلى المخيمات الفلسطينية فيه، خاصة مع عدم وجود مؤشر على أن الحل النهائي، والعادل، والشامل للصراع بين العرب و"إسرائيل"، قد إنتهى، مما يتطلب الاحتفاظ بسلاح المقاومة على درجة عالية من الجهوزية واليقظة، لأن إسرائيل لا تخاف؛ إلا كثرة القتلى في صفوف قواتها.

يمكن إستخلاص بعض الدروس من نجاح المقاومة في تحرير الجنوب، لبناء لبنان جديد وقوي، قادر على مواجهة التبدلات الإقليمية المتسارعة، وغير مرتهن لسياسة أحد، والتأسيس على هذا

الانتصار، لمواجهة الاطماع الإسرائيلية، وإفشال المشروع الصهيوني في فلسطين، فمع هزيمة إسرائيل في جنوب لبنان، دخل المشروع الاستيطاني الصهيوني في مأزق، ينبيء بزوال عصر الهيمنة والاستبداد، وإستضعاف الشعوب، وطردهم من بيوتهم، ومصادرة ممتلكتهم، إنّ مشاريع الاستعمار والإستيطان في التاريخ الحديث والمعاصر، انتهت بالفشل،كما في الجزائر وجنوب أفريقيا، وما نراه في فلسطين من ظلم وقهر، إلا آخر مشهد من مشاهد العهود الظالمة.

المحتويات